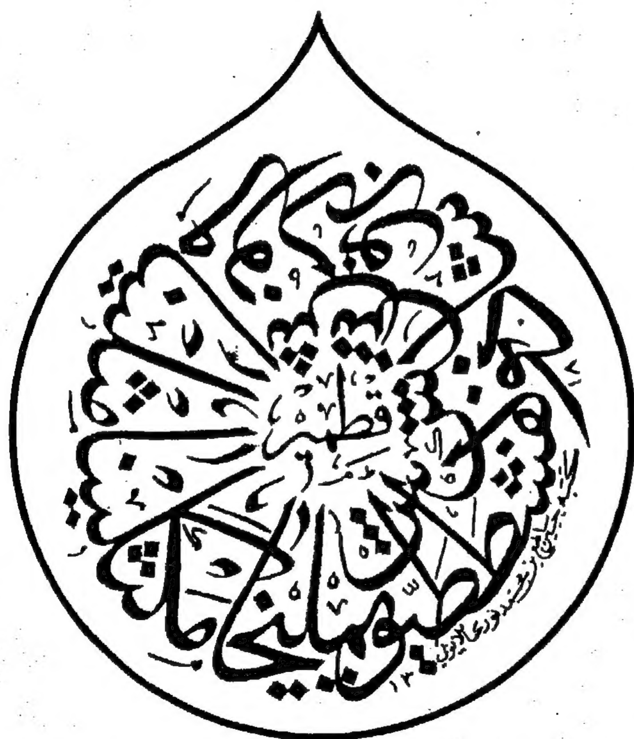
تَفضيلُ الكِلابْ
عَلى كَثيرٍ مِمَّن لَبِسَ الثيابْ

إبن المرزبان
(أبي بكر محمد بن خلف)



ـة وَتحقيق

محمّد شبارو

تفضيل الكلاب

على كثير ممن لبس الثياب

اهداءات ١٩٩٨

مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع
القاهرة

رسم الغلاف:

أسماء أهل الكهف السبعة
مع اسم كلبهم قطمير
رسم: حسين بن محمد نوري الأيوبي
١٣١٨ هـ - ١٩٠٠ م

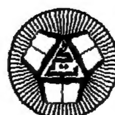
تفضيل الكلاب

على كثير ممن لبس الثياب

إبن المرزبان

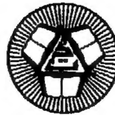
تقديم ودراسة وتحقيق

الدكتور عصام محمد شبارو



دار التضامن

للطباعة والنشر والتوزيع


دار التضامن
للطباعة والنشر والتوزيع
ص.ب ١١٣/٥٤٨٤ - بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لم يكن سهلاً على الباحث أن يتناول موضوعاً محوره الرئيسي هو ـكلب، فمثل هذا الموضوع يدعو لتعجب واستغراب الكثيرين من ـثقفين فكيف الحال بالنسبة لعامة الناس، ومثل هذا الموضوع، قد لا ـطرق اليه البعض، لأنه يبدو في نظرهم مدعاة للغوص في أمور وقضايا ـم بغنى عنها.

واذا كان ابن المرزبان قد حاول «تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس ـثياب»، فإن القصد ليس الحط من صورة الإنسان بتفضيل الكلب عليه، ـلكنه ارشاد وتوجيه للإنسان بمثال الحيوان، فمن وفاء الكلب وألفه وحبه ـأهله أمثولة للزمن الرديء الذي نعيش حيث الغدر والخيانة، وندرة وجود ـلصاحب الصالح وكثرة من كان له وجهان، وطعن الشقيق للشقيق، وكره ـلانسان لأخيه الانسان..

وفي محاولتي دراسة وتحقيق كتاب «تفضيل الكلاب على كثير ممن ـبس الثياب»، رجعت الى مصادر عربية وإسلامية مختلفة للوصول إلى هذا ـلهدف منها كتب الجاحظ والدميري والقزويني والقاضي التنوخي والميداني ـالشيبي وغيرهم ممن ذكر الكلب، وما قيل فيه من أمثال وقصص ـأشعار. هذا إضافة إلى آراء بعض الفقهاء والقضاة والعلماء، وفوق هذا

وذاك ما ورد في الحديث النبوي الشريف وما أشار إليه الله تعالى في محكم كتابه الكريم.

لذلك اعترضتني الصعوبة في كتاب الحيوان للجاحظ الذي لم يتعرض للكلب في باب أو فصل على حدة، وخاصة أن الجاحظ يعتبر من زعماء المعتزلة وكان في بعض الأحيان يحاول النيل من العقيدة الإسلامية.

وحتى ابن المرزبان مؤلف كتاب «تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب»، لم تكن هويته واضحة، فهناك أكثر من مؤلف يحمل مثل هذا الاسم، حتى وصلنا الى معرفته فكان أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان المتوفي سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م.

وتسهيلاً لتحقيق هذا الكتاب، ارتأيت التوضيح بخلفية تاريخية وضعتها ضمن «مدخل عام» يشتمل على موجز عن أصل الكلب ومواقف بعض الشعوب الشرقية القديمة تجاهه ومنها العرب في الجاهلية، وعلى ذكره في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف وآراء الأئمة والفقهاء، وكذلك العلوم الطبية وأمراض الكلب، ثم مواقف بعض المؤلفين المسلمين في الدفاع عن الكلاب. وذلك وصولاً إلى «التمهيد» الذي خصصته للحديث مباشرة عن كتاب «تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب» من حيث مؤلفه ابن المرزبان ومحتواه وتسميته والدوافع التي أدت الى وضعه وأهميته. دون أن أغفل وضع فهرس للأعلام والأماكن وأسماء الكلب والحيوان التي وردت فيه، وكذلك فهرس لمحتويات الكتاب.

وأخيراً أرجو أن أكون قد بلغت الغاية من تحقيق هذا الكتاب لابن المرزبان، وعلى الله سبيل القصد.

مدخل عام

قبل البدء في هـذا المدخـل لا بد من القـاء نظرة عن أصـل الكلب وعن مواقف بعض الشعوب الشرقية القديمة تجاهه.

١ ـ نظرة عن أصل الكلب:

ينسب علماء الحيـوان الأصـل المحتمـل للكلب إلى ذئب صغـير من الهند يسمى بالـلاتينية Canis Pallipes[١]. وقـد تم تدجـين الكلب حوالي سنة ١٠ آلاف ق. م، أي قبل تـدجين العنـزة والخروف والخنـزير والثـور والديك الرومي والقطة والدجاجة والحصان والحمار.

أمـا بموجب المعتقـدات الشعبية فيـزعم البعض أن الكلب من الجنّ والحنّ (ضعفة الجنّ)، ونوع من المسخ[٢] على أساس أن أمتين مسختا هما: الكلاب والحيات[٣]. وهذا يدخل ضمن الأسطورة التي تـزعم أن الكلاب

---

(١) Encyclopedia Universales: s.v **Domestication** vol. V P 748 - 752.

(٢) الجاحظ: **الحيوان** جـ ١ ص ٢٢٢ وجـ ٢ ص ٨٦، ١٣١ وجـ ٤ ص ٨٦ وجـ ٦ ص ٧٩.

(٣) المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٩٢.

أمة من الجن مسخت على هذه الصورة[1]. لذلك يـذكر المسعـودي في ذكر الأمم، المخلوقات قبل آدم[2]: «يقال إنه كـانت الجملة ثماني وعشرين أمة بازاء المنازل العالية التي يحلهـا القمر... ومنهـا الجن ومنها ضعفـة الجنّ، وهي أمـة في صور الكـلاب لها أذنـاب وكلامهـا همهمة لا يفهم ومنهـا أمة تشبه بني آدم أفواههم في صدورهم يصفرون تصفيراً».

ويعتبر الجاحظ[3] هذا الرأي ضمن الخرافات.

وقيل أيضاً إن الكلب خلق من ريق ابليس[4] لأنه بزق عل آدم وهو طين، وخلق الكلب من ذلك الطين، فأصبح من الشياطين.

كما قيل إن نوحاً أمر أهل السفينة أن لا يقرب ذكر من أنثى فخالف الكلب[5] ويحكى أيضاً عن نوح أنه ذبح سبعة حيوانات منها الكلب وصب دماءهم في أصل كرمة يابسة فحملت سبعة ألوان من العنب[6].

---

(١) المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٩٧.
(٢) المسعودي: أخبار الزمان ص ٣٢.
(٣) الجاحظ: الحيوان جـ ٤ ص ٦٨.
(٤) القليوبي: عجائب وغرايب ص ٢٢١.
(٥) المصدر نفسه ص ٢٢٤.
(٦) الدميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ١ ص ٧.

٢ ـ مواقف بعض الشعوب الشرقية القديمة تجاه الكلب

صورة الكلب نادرة جداً في المنمنمات العربية في القرون الوسطى الا في كتب الطب كايضاح لداء الكَلَب. ولا توجد صورة الكلب في مقامات الحريري، ولا في صور القرى والبيوت عند المسلمين.

بينما الشعوب الشرقية القديمة كالآشوريين والفرس، صورت الكلب في منحوتاتها وخاصة كلب الصيد أو في مناظر الصيد.

غير أن **الفرس** «الزرادشتيين» اعتبروا الكلب نجساً الا إذا كان يستخدم في حراسة الماشية. وبهذا الأمر ينتمي الكلب إلى الخلقة الجديدة أو الرديئة[١] (مثل الخير والشر).

وكان المجوس يستخدمون الكلب في اختبار الموتى، فالكلب لا يخفى عليه الميّت من المغشي عليه، ولا ينفع عنده التماوت. لذلك لا يحمل من مات من المجوس إلى النار حتى يدنى منه كلب[٢].

ويحكى عن بعض حكماء الفرس أنه قال، أخذت من كل شيء أحسن ما فيه حتى انتهى في ذلك إلى الكلب، فقيل له فما أخذت من الكلب، قال الفه لأهله وذبّه عن صاحبه[٣].

ونلاحظ في كتاب «**كليلة ودمنة**» وأصله هندي ولكنه وصل إلينا

---

(١) C. De Marles: L'Avesta P 135, 148

(٢) الجاحظ: الحيوان جـ ١ ص ٣٧٥ وجـ ٢ ص ٧٨٩ وجـ ٣ ص ٣٥١.

(٣) الدميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ٢ ص ٩٩.

بواسطة الترجمة الفارسية، أنه لا يوجد باب أو قصة تتعلق بالكلب، وقد ذكرت كلمة كلب بلمحة خاطفة[1].

ويذكر القليوبي[2] خيانة الكلب في قصة الملك الفارسي كشتاسب، وكيف أن الراعي صلبه لمصادقته الذئبة التي كانت تسرق الغنم. وكان للملك وزير كثير الفساد يدعى راست روش فصلبه جزاء خيانته بعد أن علم بقصة الكلب. وهذا يعني أن الفرس كانوا ينظرون بسلبية إلى الكلب، بينما اشتهر الكلب بوفائه وأمانته فان صادق ذئبة ونام معها فهذا يرجع لتكوينه الجنسي وميله نحوها وليس لخيانته.

أما عند المصريين القدماء فقد اشتهر آلهة مراسم دفن الموتى أو المقابر، وهي ترمز للكلب مثل أنوبيس[3] Anobis وختنامنتيو وأوبواو، ويبقى أنوبيس أشهرها حيث كان يظهر أحياناً بشكل انسان ذي رأس كلب أو بشكل كلب[4] ويعود أصله إلى مصر العليا (الدلتا)، ومركز هذه المنطقة سماها اليونان، مدينة الكلب Cynopolis[5] ويقال إن حاكم مدينة عرقا الفينيقية أرسل إلى فرعون مصر رسالة يقول فيها: «مولاي أنا عبدك وغبار قدمك، أسجد عند موطىء قدميك، سبع مرات وأؤكد أني خادم الملك وكلبه الأمين».

ويبدو أن الفينيقيين لم يأكلوا لحم الكلب. أما القرطاجيون المتحدرون من أصل فينيقي فقد أكلوا لحم الكلب مثل بعض سكان شمال افريقيا وخاصة في المناطق الصحراوية حيث كانت هذه العادة لديهم منذ

---

(١) ابن المقفع: كليلة ودمنة ص ٨٥ و ١٧٠.

(٢) القليوبي: حكايات وغرايب ص ٩٢ و٩٣.

(٣) **Histoire generale des religions,** lcs Primitifs L'Ancien Orient P 171.

(٤) هناك صور للإله أنوبيس في نفس المرجع ص ١٥٩ و١٨٣ و٢١٤.

(٥) **Encyclopaedia of Religion and Ethics** vol I P 512

القدم واستمرت حتى الآن. ومما يؤكد أن قرطاجة عرفت أكل لحم الكلب هو أن داريوس Darius منع القرطاجيين من ذبح الضحايا البشرية ومن أكل لحم الكلب[١]. وفي جنوب الأطلسي المغربي سكن شعب كان يتغذى بلحم الكلب[٢]، ويقال إن جزر كاناري Canarii سميت بهذا الاسم بسبب هذه العادة.

أما عند **اليهود** فتحكي **التوراة** عن الكلب بتحقير، ويقصدون الكلاب الضالة التي تطوف الشوارع وتأكل القاذورات وتهاجم المارة والعابرين من السكان لذلك استعملت كلمة كلب للتحقير. وكان يسمح بتربية كلاب الماشية والرعي لاستعمالها في الحراسة والصيد. ويوجد في كتاب **المشنة** ما يميز بين الكلب العادي الذي يشبه الذئب والكلب الضاري غير الداجن الذي يشبه ابن آوى. وكان اليهود يعرفون داء الكَلَب وكانت عندهم آراء مختلفة في تربية الكلاب منها[٣]: لا يربى الكلب الا إذا كان مربوطاً بالسلسلة ـ الذي يربي الكلاب مثل الذي يربي الخنازير ـ يسمح بتربية الكلاب شرط تقييدهم في النهار واطلاقهم في الليل ـ لا يسمح للانسان أن يعيش في مدينة حيث لا ينبح فيها كلب... وهذا القول الأخير يعني أن اليهود يدركون أن وجود الكلب شرط لوجود المدينة، وهذا ما ذكره الجاحظ[٤] أيضاً بقوله: «لا يكون البنيان قرية حتى ينبح فيه كلب ويزقو فيه ديك».

---

(١) **Bulletin de liaison Saharienne** P 2

وفي الشرق الأقصى اشتهرت الصين وجزيرة سومطرة بأكل لحم الكلب واستخدام أجزائه في الطب الشعبي. وفي الفليبين يعتبر لحم الكلب أشهى اللحوم حتى يومنا هذا.

(٢) **Bulletin de liaison Saharienne** P 3

(٣) **Encyclopedia Judaica** V I s. v Dog P 152

(٤) الجاحظ: الحيوان جـ ٢ ص ١٩٣.

أما عند اليهود المتأخرين فيذكر التلمود أن الـذين خالفـوا وصية الله في تابوت نوح (سفينة نوح) ثلاثة هم: الكلب والغراب وحـام، وهذا مـا جلب عليهم غضب الله فحوّل لونهم إلى الأسود[1].

وكانت الروم لا تـدفن ميتاً حتى تعـرضه عـلى الكلاب فيـظهر لهم من شمها اياه علامة تستدل به على حياته أو موته[2].

وفي المناطق التي سكنها العـرب في الجاهليـة كانت الصـابئة[3] تحـرّم أكل لحم الكلب[4] والخنزير وكل ما له مخلب من الـطير، كما كـانوا يصلون ثلاث صلوات ويغتسلون من الجنابة ومن مس الميت.

أما العرب في الجاهلية فكانوا يتخذون بيوتاً للعبادة تنقسم إلى بيوت الأصنام وبيوت النيران وعلى رأسها الكعبة[5] «البيت العتيق»، ومع ذلك لم نعثر على صنم عبدوه كان على صورة كلب.

هذه هي مواقف بعض الشعوب الشرقية القديمة، ولا بد أن العرب تأثروا بهذه المواقف حيث كان البعض منهم ينتمي إلى الوثنية أو اليهودية أو الأديـان الأخرى[6]. إلا أننـا لم نجد أية إشارة إلى عبادة صنم عـلى شكل كلب. ومع ذلك نرى قبائل مهمة من عرب الجاهلية تسمت بأسماء مشتقة من كلمة كلب.

إن أهم أجداد العرب تسمـوا بكلب وكلاب وكليب... وأبـرزهـا جميعاً كلاب بن مرة في قريش وكلاب بن ربيعة في هوازن.

---

(١) مدراشت ربه عن سفر التكوين: الاصحاح ٣٦: العدد ٧.
(٢) الدميري: حياة الحيوان الكبرى حـ ٢ ص ٢٢٧.
(٣) الشهرستاني: الملل والنحل جـ ٢ ص ٦٣ ـ ١١٥.
(٤) المصدر نفسه جـ ٢ ص ١١٥.
(٥) المصدر نفسه جـ ٣ ص ٧٦ ـ ٧٨.
(٦) لم نـذكر مـوقف العـرب المتنصرين من الكلب بسبب عـدم وجـود وصـايـا عنـه في الـدين =

٣ ـ في القرآن الكريم :

ورد في القرآن الكريم ست سور سميت بأسماء بعض الحيوانات والحشرات وهي : سورة البقرة وسورة الأنعام[1] وسورة النحل وسورة النمل وسورة العنكبوت وسورة الفيل. علماً أنه لم ترد في القرآن الكريم سورة باسم الكلب، رغم أن الكلب ورد ذكره أربع مرات[2] في سورة الكهف، ومرة واحدة[3] في سورة الأعراف، كما وردت «مكلبين» في سورة المائدة[4]. اضافة إلى الأسماء الكثيرة من الحيوانات والطيور والحشرات التي أتى على ذكرها القرآن الكريم، مثل: العنكبوت والذر[5] والحمار والهدهد والغراب والذئب والبغل والخيل والبعوضة والمعز والضأن والنعجة والحوت والنون (الحوت العظيم). . .

= المسيحي كما أنه ليس للمسيحية موقف منه لاعتبارها أن النجاسة روحية فقط. وما ذكره الجاحظ عن المسيح هو أنه مرّ في الحواريين بجيفة كلب فقال بعضهم: ما أشد نتن ريحه فقال المسيح : فهلا قلت ما أشد بياض أسنانه (الحيوان جـ ٢ ص ١٦٣) مع العلم بأنه لم نجد اشارة الى ذلك في المصادر المسيحية.

(١) الانعام: مفردها النعم، وعند الفقهاء النعم يشمل الابل والبقر والغنم. وهي كثيرة الفائدة سهلة الانقياد ليس لها شراسة الدواب ولا نفرة السباع ومن شأنها الثبات والصبر على التعب والجوع والعطش. وتتميز بقوة أضراسها.
القزويني: **عجائب المخلوقات** ص ٢٢١ ـ ٢٢٢.
الدميري: **حياة الحيوان الكبرى** جـ ١ص ٣٣٠ ـ ٣٣٢.

(٢) سورة الكهف الآيتان ١٨ و ٢٢.

(٣) الأعراف آية ١٧٦.

(٤) سورة المائدة آية ٤.

(٥) الذر: مفرده ذرة وهو النمل الأحمر الصغير.
الدميري: جـ ١ ص ٤٥٥ ـ ٤٥٨.

٤ ـ في الحديث النبوي الشريف:

كثر ذكر الكلب في الحديث النبوي الشريف، وهنا دخلت المذاهب الاسلامية في تحديد موقفها من نجاسة الكلب[١] وبيعه[٢] وأكل لحمه[٣] والهراش به[٤] وقتله[٥] أو عدم اتخاذه حتى قيل إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه

---

(١) الجاحظ: الحيوان جـ ١ ص ٣٦٩؛ الغزالي: إحياء علوم الدين جـ ١ ص ١١٤، ١١٥ وجـ ٢ ص ٩٥؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ ٣ ص ٣٢٦؛ الأصفهاني: الأغاني جـ ١٦ ص ١٨٦؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات جـ ٢ ص ٤٣٩، ٤٤٠؛ الصنعاني: المصنف جـ ١ ص ٧٦ ـ ٩٨، ١٢٣، ١٢٤، ٤١٦؛ الدميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ١ ص ٢٢٢، ٣٨٧، ٣٨٨، ٤٩٥ وجـ ٢ ص ٢٣٠، ٢٣١، ٢٥٨؛ الحريري: الفقه على المذاهب الأربعة جـ ١ ص ١، ١٠ ـ ١٥، ٢٧.

(٢) الغزالي: إحياء علوم الدين جـ ٢ ص ٦٠؛ الصنعاني: المصنف جـ ١ ص ٧٠، ٧٥. مسلم: الجامع الصحيح جـ ٥ ص ٣٥؛ التنوخي: نشوار المحاضرة جـ ١ ص ١٩٩، ٢٠٠.

(٣) الجاحظ: الحيوان جـ ١ ص ١٧٠، ٢٥٦، ٢٦١، ٢٦٧، ٢٦٨ وجـ ٢ ص ١٥٩، ١٦٠ وجـ ٤ ص ٤١؛ التنوخي: نشوار المحاضرة جـ ١ ص ٢٠٤، ٣٥١؛ ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١١ ص ٢٠٥، ٢١٣ وجـ ١٢ ص ٧٠، ٧١، ٩٩ وجـ ١٣ ص ٢٦، ١٦٧، ٣٤٣ وجـ ٤ ص ١٦؛ الميداني: مجمع الأمثال جـ ٢ ص ١٩٤؛ الدميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ٢ ص ١٨٣، ١٨٤، ٢٥٨.

(٤) الجاحظ: الحيوان جـ ١ ص ٣٧٦ وجـ ٢ ص ١٦٣، ١٦٤، ٢٧٤ وجـ ٤ ص ٥٤ وجـ ٥ ص ٢٤٦، ٤٢٢ وجـ ٧ ص ٢٥٣؛ الدميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ٢ ص ٢١٦، ٢١٧. ابن زبير: الذخائر والتحف ص ٢٢٠.

(٥) مسلم: الجامع الصحيح جـ ٥ ص ٣٥، ٤٣٦؛ السيوطي: سنن النسائي جـ ٥ ص ١٨٨، ١٩٠؛ ابن دقيق العيد: أحكام الأحكام جـ ٣ ص ٣٢، ٣٥، ٣٦؛ الدميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ١ ص ٢٩٠ ـ ٢٩٣، ٣٥٠، ٥٦٢ وجـ ٢ ص ٩٨؛ القزويني: عجائب المخلوقات ص ٢٤٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٣٦ وجـ ١٤ ص ١٢٣، ١٤٤، ٢١٥، ٢٢٦؛ الصنعاني: المصنف جـ ١٠ ص ٧٥، ٧٦؛ الدويهي: تاريخ الأزمنة ص ٣٠٢؛ النووي: روضة الطالبين جـ ٥ ص ١٥.

كلب[1]، ثم وصل الكلام إلى علاقة الكلب بالجن والشياطين[2] والأحلام[3] وحتى بالجنة[4].

---

(١) مسلم: الجامع الصحيح جـ ٦ ص ١٥٦، ١٥٧، ١٦٣؛ الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن ص ٥؛ الجاحظ: الحيوان جـ ١ ص ٢٩٥؛ القليوبي: حكايات وغرايب ص ٢٢١؛ القزويني: عجائب المخلوقات ص ٢٨٠ ـ ٢٨٢.

(٢) الجاحظ: الحيوان جـ ١ ص ٢٧٩، ٢٩١، ٢٩٥، ٢٩٧، ٣٠٨ وجـ ٢ ص ١٣١ وجـ ٤ ص ٣٨، ٦٨ وجـ ٦ ص ٧٩؛ الدميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ٢ ص ٢٥٨، ٢٥٩؛ القزويني: عجائب المخلوقات ص ١٨١، ٢١٦؛ ألف ليلة وليلة: م ١ الليالي ١٠، ١٩، ٢٢؛ وم ٣ الليالي ٥٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠.

(٣) الجاحظ: الحيوان جـ ١ ص ٢٧١؛ ارطاميدورس: تعبير الرؤيا ص ٨٦، ١٤٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٩، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٣٣؛ الدميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ١ ص ٥٤ وجـ ٢ ص ٢٣٠، ٢٦٦، ٢٦٧.

(٤) الجاحظ: الحيوان جـ ٢ ص ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧؛ الدميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ١ ص ٢٠٠؛ القزويني: عجائب المخلوقات ص ٢٢٨؛ ألف ليلة وليلة: م ٣ ليلة ٤٤٨.

٥ ـ العلوم الطبية وأمراض الكلب:

إذا كان الطب الحديث قد توصل إلى معالجة المصابين بداء الكَلَب، فإن العرب عرفوا هذا الداء في الإسلام[1]، وتوصلوا إلى معالجة المصابين به منذ قرون عديدة. وإن كان الأئمة والفقهاء قد نصحوا بغسل الإناء سبع مرات من ولوغ الكلب، فقد توصل بعض الأطباء في عصرنا الحاضر إلى وجود دودة شريطية طولها أربع مليمترات في أمعاء أكثر الكلاب، تخرج بويضاتها مع روث الكلب فيتلوث لسانه وفمه عندما يحاول تنظيف نفسه بلسانه كما هي عادته، وتنتشر في بقية شعره، ثم تنتقل إلى الإناء الذي يشرب منه. فإذا شرب الانسان من هذا الإناء سهل وصول بعض هذه البويضات التي علقت فيه إلى فمه فتصل إلى معدته لتخرج منها الأجنة فتثقب جدر المعدة وتصل إلى أوعية الدم، فتحدث أمراضاً كثيرة في المخ والقلب والرئة.

وكذلك عرف العرب الأمراض الأخرى التي يتعرض لها الكلب

---

(١) الجاحظ: الحيوان جـ٢ ص ٥، ٦، ١٠ ـ ١٥، ١٢٧، ٢٢٣، ٢٣٧، ٣١٠، ٣٤٣، وجـ٣ ص ٣٠٨، ٣١٤، ٣٩٠، ٤١٣ وجـ٤ ص ٢٢٣ وجـ٥ ص ٣٤٣ وجـ٧ ص ٦٤؛ الدميري: حياة الحيوان الكبرى جـ١ ص ٤٥٤، ٥٣٧ وجـ٢ ص ٢٢٦، ٢٣٦، ٢٦٧؛ القزويني: عجائب المخلوقات ص ٨٩، ١٢٠، ١٤٩، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٦، ١٧٩، ٢٣١، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٧٠، ٢٧١؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار جـ٢ ص ٧٩، ٨٠؛ التنوخي: الفرج بعد الشدة جـ٤ ص ٢٥، ٢٦، ٢٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية جـ١١ ص ١١٨؛ الشيبي: تمثال الأمثال ص ٤٣٧؛ ابن شحنة: الدار المنتخب ص ٤٧، ١٢٨؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ٦ ص ٢٤٤؛ ديوان الفرزدق جـ٢ ص ٣٠؛ ديوان عبد الله بن قيس الرقيات ص ١٢، ١٣؛ ابن البهلول: الدلائل ص ٣٢٨.

مثل النقرس[1] والحجام[2] والكدي[3] وكيس الكلب[4] والجنون والصرع[5] وغيرها.

---

(1) الجاحظ: الحيوان جـ ٢ ص ٢٢٣.

(٢) المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٥.

(٣) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٤٩.

(٤) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٦٦.

(٥) الجاحظ: الحيوان جـ ٢ ص ٧٣، ٧٤، ٢٢٤؛ الدميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ١ ص ٣٨٥؛ القزويني: عجائب المخلوقات ص ٢٤١، ٣٣٧؛ السدوسي: الأمثال ص ٤٢.

٦ - مواقف بعض المؤلفين المسلمين في الدفاع عن الكلاب:

بالرغم من الموقف السلبي، الذي يشكل «التيار العام» لدى المسلمين بصدد الكلب، كان هناك امتداد لموقف الجاهلية في المحيط القبلي وفي المدن. وهكذا بقيت فوائد الكلب في الصيد والحراسة، فقيل فيه المدح والرثاء، واهتم به بعض الخلفاء والسلاطين، فكان يزيد بن معاوية يلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب والجلال المنسوجة منه ويهب لكل كلب عبداً يخدمه[١]، وكان السلطان مسعود يبالغ أيضاً في ذلك ويلبس الكلاب الجلال الأطلس الموشاة ويسورها بالأساور[٢]. واشتهر ابن جامع المغني (ت ١٩٢ /٨٠٨)[٣] بحبه وولعه بالكلاب، وقال أبو نواس (ت ١٩٨ / ٨١٤) أجود شعره في الكلاب التي كان على معرفة تامة بها.

لم يمنع الموقف العام الذي تجلى بالسلبية من ظهور مواقف مخالفة، اتخذها البعض وإن كان قلة، لأعلام تزعمهم الجاحظ في الدفاع عن الكلاب.

---

(١) ابن الطقطقي: الفخري ص ٥٥.

(٢) المصدر نفسه ص ٥٦.

(٣) ابن جامع (ت ١٩٢/٨٠٨): هو اسماعيل بن جامع بن اسماعيل بن عبد الله بن عبد المطلب ويعرف بابن أبي وداعة. ولد بمكة ثم انتقل إلى المدينة المنورة. وكان من أحفظ الناس للقرآن الكريم، متعبداً، كثير الصلاة. ثم احترف الغناء فذاعت شهرته ورحل إلى بغداد حيث اتصل بالخليفة هارون الرشيد فأصبح أحد المشاهير بالغناء. وكان مأخوذاً بالقمار ومهارشة الكلاب فاقتنى دفتراً قيد فيه أسماء الكلاب.

ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ ٦ ص ٩، ٣١، ٣٢، ٣٧. الاصفهاني: الأغاني جـ ٦ ص ٢٧٣ - ٣٠٧. النويري: نهاية الارب جـ ٤ ص ٣٢٤ - ٣٢٦.

ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٠ ص ٢٠٧، ٢٠٨. الزركلي: الاعلام جـ ١ ص ٣١١.

البستاني: دائرة المعارف م ٢ ص ٣٩٦ - ٣٩٩. عصام شبارو: أسرار الكلاب، ص ٢١٨ - ٢٢١.

(أ) الجاحظ (ت ٨٦٩/٢٥٥): دافع عن الكلب في كتابه الحيوان ولو بلسان غيره أي صاحب الكلب، وأبان محاسنه وصفاته الحميدة، وحكى بعض القصص في وفائه متوجاً إياها بقصة كلب أهل الكهف الذي يزعم البعض أن مأواه الجنة. ويبدو أن الجاحظ قد بالغ في موقفه هذا، ويرجع ذلك لدوافع شخصية واجتماعية. فهو أحد زعماء المعتزلة[1] التي نشأت في البصرة ثم انتشرت في بغداد في العصر العباسي حيث تكونت للاعتزال مدرستان كبيرتان: مدرسة البصرة وتمثل المدرسة النظرية ومن زعمائها الجاحظ، ومدرسة بغداد وتمثل المدرسة العملية لأنها تأثرت بالدولة وكانت قريبة من الخلفاء وأشهر زعمائها قاضي القضاة أحمد بن دؤاد[2]. وكان الباعث على انشاء الاعتزال، أن كثيراً ممن دخلوا الاسلام

---

(١) وسبب تسميتهم بالمعتزلة أن واصل بن عطاء (ت ٧٤٨/١٣١) كان يجلس إلى الحسن البصري (ت ٧٢٨/١١٠) فاختلف معه في مسألة «المسلم المرتكب الكبيرة» فاعتزله الحسن البصري أي منعه من حضور مجلسه، فأخذ واصل بن عطاء يجتمع مع أصحابه في موضع آخر فسموا بالمعتزلة. وهم يفضلون تسمية أنفسهم بـ «أصحاب العدل والتوحيد» لأن جوهر فلسفتهم يقوم على خمسة أصول هي التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الشهرستاني: الملل والنحل جـ ١ ص ٥٣ ـ ١٠٨. عبد الجبار الهمداني: شرح الاصول الخمسة ص ١٢٢ ـ ١٢٤. أحمد أمين: ضحى الاسلام جـ ٣ ص ٢١ ـ ٢٠٧. محمود كامل أحمد: مفهوم العدل ص ١١ ـ ١٨. ت. ج. دي بور: تاريخ الفلسفة ص ٩٧ ـ ١١٥.

عصام شبارو: القضاء والقضاة ص ١٤٦ ـ ١٥٠. قاضي القضاة ص ٢٢٨ ـ ٢٣٧.

(٢) أحمد بن أبي دؤاد (ت ٨٥٤/٢٤٠): أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد الايادي أحد زعماء المعتزلة التي فرضها كعقيدة رسمية للدولة العباسية، بفضل تقربه من الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق. وتعاظم نفوذه مع المعتزلة حتى عزل من منصبه كقاضي قضاة زمن المتوكل سنة ٨٥١/٢٣٧.

الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ ٤ ص ١٤١. المسعودي: مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٦١، ٣٦٢، ٣٩٩، ٤٠٠. ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٢ ص ٩٣. ابن الأثير: الكامل جـ ٦ ص ٣٦٥. الطبري: تاريخ الرسل جـ ٩ ص ١٨٨، ١٨٩، ١٩٦، ١٩٧. =

شكلاً وظاهراً من اليهود والنصارى والمجوس قد أثاروا الشكوك حول الاسلام وهاجموه مستخدمين في ذلك الفلسفة اليونانية والمنطق اليوناني فتسلح المعتزلة بسلاح خصومهم واستفادوا من الفلسفة اليونانية وصبغوها بصبغة اسلامية وجادلوا خصومهم جدالاً علمياً.

وقد تعرض الجاحظ للسجن فأنقذه أحمد بن أبي دؤاد[1]. ثم شهد فترة سيطرة المعتزلة زمن الخلفاء العباسيين المأمون والمعتصم والواثق، حيث التمست سطوة الدولة في سبيل فرض الاعتقاد بخلق القرآن الكريم عقيدة رسمية. وهكذا طرحت مسألة خلق القرآن الكريم[2] وأثارت اختلافاً كبيراً بينها وبين أهل السنة تحول إلى محنة كبيرة (٢١٨ - ٢٣٤/٨٣٣ - ٨٤٨) وصلت إلى حد إراقة الدماء بعد سجن وتعذيب كل من عارض موقف المعتزلة من أن القرآن مخلوق. وخاصة الإمام أحمد رضي الله عنه الذي سجن وضرب بالسياط حتى سال منه الدم سنة ٢٢٠/٨٣٥ ثم أطلق سراحه بسبب شجاعته وخشية وقوع الفتنة[3]. ثم نزلت النكبة بالمعتزلة بعد تولي المتوكل الخلافة[4]. ولا بد أن تترك هذه الحوادث أثراً بالغاً في نفسه وهو يشاهد

= ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ١ ص٦٣. ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٠ ص ٣٠٥ - ٣٢٢. الزركلي: الاعلام جـ١ ص ١٢٠. عصام شبارو: القضاء والقضاة ص ٢٤٣ - ٢٥٢ وقاضي القضاة ص ٢٢٧ - ٢٤٤.

(١) التنوخي: الفرج بعد الشدة جـ١ ص ٣٦١.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل ص ٥٣ - ١٠٨. أحمد أمين: ضحى الاسلام جـ٣ ص ١٦١ - ١٨٦. محمود كامل أحمد، مفهوم العدل ص ٢٤٨ - ٢٨٩. عصام شبارو: القضاء والقضاة ص ١٥٠ - ١٥٥. قاضي القضاة ص ٢٣٧ - ٢٤٤.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية: جـ١٠ ص ٣٢٥ - ٣٤٢.
التميمي: المحن ص ٤٣٨ - ٤٤٤.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٠ ص ٣٠٦، ٣١١، ٣١٦.
التنوخي: نشوار المحاضرة جـ٦ ص ١٠١، ١٣٢، ١٦٩.
الفرج بعد الشدة جـ٢ ص ٣٢.

البطش والتنكيل بالمعتزلة التي يعتبر أحد زعمائها، وهو الذي ينظر نظرة فوقية إلى الآخرين ويحتقرهم، لذلك فقد لا يكون هدفه الدفاع عن الكلب، عندما وضع كتاب «الحيوان»، بقدر ما هو الانتقام من البشر ومن محيطه الذي عاش فيه حيث أصيب بالفالج[1] أكثر من اثنتين وعشرين سنة، دون أن يغيب عن باله أن يضمن كتابه تلك المحاولة وذلك الكلام الذي ولّده المعتزلة حيث تفرغ اثنان من رؤساء المعتزلة لذكر محاسن ومساوىء الكلب والديك والموازنة بينهما والتنويه بذكرهما. ولعلّه اعتبر صاحب الكلب رمزاً للعربي الذي أراد أن يرفع من قدره وصاحب الديك للفارسي حتى يحط من قدره. وهذا ليس بمستغرب على الجاحظ، وهو على سعة علمه، أن لا يفصح مباشرة عما يجول بخاطره وأن يهجو ويحط من قدر ومكانة من يريد دون ان يثير شبهة أحد. وهكذا أوجد نظرة إيجابية تقف إلى جانب الكلب وتمثل إتجاهاً مخالفاً للتيار العام. وكانت المبالغة سمة هذا الإتجاه أحياناً حتى جاءت القصص والأشعار والأمثال ترفع من قدر الكلب بل وفضلته على الإنسان.

وعلى هذا المنوال، وبعد حوالي نصف قرن وما يزيد، وضع ابن المرزبان (ت ٣٠٩/٩٢١) كتابه «تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب». ومن عنوان هذا الكتاب يمكن معرفة الهدف الذي أراده ابن المرزبان لذلك لا يجوز المقارنة بين الجاحظ الذكي الذي تناول الكلب كدراسة علمية ثم أبرز كل ما قيل عنه من مديح وهجاء وحسنات وسيئات ليصل إلى هدفه، وبين ابن المرزبان البسيط والعادي الذي وصل الى هدفه مباشرة عندما عدد فضائل الكلاب ومدحها دون أن يبرز سيئاتها والهجاء الذي قيل فيها. مما يعني أن ابن المرزبان تناول الكلب من زاوية واحدة أراد منها نسج موقف خاص به ومخالف لما يدور حوله. وقد تحدثت ما فيه

(١) الجاحظ: الحيوان جـ ٤ ص ٢٠٨.

الكفاية عن ابن المرزبان في التمهيد، وما أؤكد عليه هنا، أن ابن المرزبان كان المصدر الرئيسي بالنسبة لهذا الموضوع والذي اعتمد عليه القاضي التنوخي، ثم الدَّميري.

(ب) القاضي التنوخي (ت ٣٨٤/٩٩٤)[1]: اعتمد على ابن المرزبان في الحديث عن القصص المتعلقة بالكلاب[2]، لكن هدفه لم يكن الدفاع عن الكلاب أو تفضيلها على الانسان، وان كان يبدو ذلك أثناء الاطلاع على هذه القصص. ولكن الصفحات الأربع والعشرين التي خصصها توازي في الحجم كتاب ابن المرزبان «تفضيل الكلاب»، ولكنها بالنسبة لكتاب «نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة» حيث أوردها التنوخي فيه، لا تعتبر شيئاً. فالنشوار وضعه التنوخي في أحد عشر جزءاً لم نعثر منها حتى الآن إلا على ثمانية وهي لا تتعلق بالكلاب بل بكل شيء حسن لأن كلمة نشوار تعني ما يظهر من كلام حسن، فهي تتعلق من هذه الناحية بأخبار الملوك والخلفاء والكتاب والوزراء والمحدثين والفقهاء والشهود والقضاة والولاة والأمناء. . . ومع ذلك يهمنا النظرة الحسنة التي نظر فيها التنوخي إلى الكلاب ضمن ما نظر إليه، وهو بذلك وبطريقة غير مباشرة يدافع عنها. وهو أيضاً تعرض لقسوة الزمن والحكام فعزل عن

---

(١) القاضي التنوخي (ت ٣٨٤/٩٩٤): هو أبو علي المحسن بن علي بن داود بن ابراهيم بن تميم التنوخي. قاض، أديب، شاعر، ناثر، اخباري. ولد في البصرة ٣٢٧/٩٣٩ وكان على مذهب الامام أبي حنيفة. ومن مؤلفاته: نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، الفرج بعد الشدة، المستجاد من فعلات الأجواد، ديوان شعر، عنوان الحكمة والبيان.
سركيس: معجم المطبوعات جـ ١ ص ٦٤٣، ٦٤٤ الزركلي: الأعلام جـ ٦ ص ١٧٦.
كحالة: معجم المؤلفين جـ ٨ ص ١٨٥، ١٨٦. عصام شبارو: القضاء والقضاة ص ٢٩٥ ـ ٣٢١ وله أخبار كثيرة عن حياته في كتابيه نشوار المحاضرة والفرج بعد الشدة.

(٢) التنوخي: نشوار المحاضرة جـ ٤ ص ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٢٨ وجـ ٦ ص ٢١٦ ـ ٢٢١، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤٥، ٢٤٧، وجـ ٧ ص ٩٠، ٩١، ٩٥، ٢١٨ ـ ٢٢٥.

منصبه في القضاء عدة مرات وتعرض للظلم في فترة عدم الإستقرار السياسي التي عاشها.

فقد ظهر تأثير الأحوال السياسية المضطربة زمن عز الدولة بختيار (ت ٩٧٧/٣٦٧) حيث عزله الوزير أبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس عن القضاء سنة ٩٦٩/٣٥٩، ثم ازداد الظلم زمن الوزير ابن بقية (ت ٩٧٧/٣٦٧) وهرب التنوخي من قسوته وتعرض للمحن والمصائب. وكذلك سخط عليه عضد الدولة (ت ٩٨٢/٣٧٢) ولم تستقر له الأحوال إلا بعد وفاة عضد الدولة. ولعل ذلك كله دعاه للبحث عن الفضائل في كل الأمور والأشياء من الناس والحيوان ومنها الكلب، فكانت القصص في وفاء الكلب والتي نقل بعضها عن ابن المرزبان ضمن ما عثر عليه.

(جـ) الدميري (ت ١٤٠٥/٨٠٨)[1]: وضع الدميري كتابه «حياة الحيوان الكبرى»[2]، فأكثر من القصص والحكايات حول الكلب مما لم يذكره الجاحظ في «الحيوان» أو ابن المرزبان في «تفضيل الكلاب». وقد

---

(١) الدّميري (ت ١٤٠٥/٨٠٨): محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء كمال الدين، باحث، أديب من فقهاء الشافعية. من أهل دميرة بمصر. ولد ونشأ وتوفي بالقاهرة. وكانت له حلقة خاصة في الأزهر. أقام مدة بمكة والمدينة. من كتبه «حياة الحيوان الكبرى» و«حاوي الحسان من حياة الحيوان» و«الديباجة» و«أرجوزة في الفقه».
الزركلي: الاعلام جـ٧ ص ١١٨. عصام شبارو: أسرار الكلاب، ص ٢٩١ - ٢٩٩.

(٢) ترجم الكولونيل جايكار A,S,G Jayakar أحد اساتذة كلية بمباي بالهند كتاب «حياة الحيوان» للدميري إلى الانكليزية وطبع القسم الأول منه في لندن سنة ١٩٠٦ والقسم الثاني سنة ١٩٠٨ وانتهى فيه الى حرف الفاء. وفي Princeton 334-5 مخطوطة من حياة الحيوان كتبت سنة ٨٤٢ هـ. وفي مكتبة Marciana في البندقية مخطوطة من حياة الحيوان كتبت سنة ٨٥٤ هـ.
مجلة المشرق م ١٠ ص ٧٦٥ وم ١٥ ص ٣٩٢.
الزركلي: الاعلام جـ٧ هامش ص ١١٨.

جعله رمز القوة والأمانة والاخلاص[1] في القصص التي ذكرها عن النبي نوح عليه السلام، كما رفع من قدره عندما أفرد حوالي ١٨ صفحة[2] للحديث عن كلب أهل الكهف وقصة هؤلاء الفتية، فذكر الاختلاف حول شكل أو لون كلب أهل الكهف، وحول اسمه[3] ومبالغة بعض الرواة الذين انطقوا الكلب مثل الانسان[4]. كما ذكر قصصاً مختلفة في وفاء الكلب وما ذكره بعض الشعراء مثل أبو نواس والفلاسفة مثل أبو العلاء المعري[5].

وقد اختلف الدميري عن الجاحظ بأنه باحث أديب من فقهاء الشافعية كان يتكسب بالخياطة، ثم أقبل على العلم وأفتى ودرّس، وكانت له في الأزهر في القاهرة حلقة خاصة، كما أقام مدة بمكة والمدينة. في حين كان الجاحظ من المعتزلة، وصاحب فرقة خاصة به هي «الجاحظية». وقد اتفق الإثنان في دفاعهما عن الكلب. فلا غرو أن يتحدث الدميري وهو فقيه عما قيل في الكلب زمن نوح عليه السلام، وأسهب في ذكر قصة أهل الكهف وكلبهم، وجاء بقصص لم يذكرها الجاحظ، وهذا كله ليس للهدف الذي أراده الجاحظ، وربما لرأيه الفقهي المستمد من مذهب الإمام الشافعي الذي يبدو أنه أنصف الكلب بقوله: ليت الكلاب لنا كانت مجاورة[6].

---

(١) الدميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ١ ص ٧ وجـ ٢ ص ٢٦٠.

(٢) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢٣٥ ـ ٢٤٨ و٢٥١ ـ ٢٥٤.

(٣) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢٣٦، ٢٥١.

(٤) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٢٣٨، ٢٤١.

(٥) المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٤٤ وجـ ٢ ص ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦.

(٦) الأصبهاني: حلية الأولياء جـ ٩ ص ١٤٩.
الدميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ٢ ص ٢٣٠.

(د) القليوبي (ت ١٠٦٩/١٦٥٩)[١]: فقيه شافعي، ذكر في كتابه «حكايات وغرايب وعجايب ولطايف ونوادر ونفايس» ما يضع الكلب في مكانة الزهاد والمحرومين والمؤدبين والخاشعين والمريدين والمتواضعين، فجمع الخصال الحسنة في الكلب وتمنى لو كانت في بني آدم لبلغ أعلى الدرجات[٢]. وهذا تكريم عظيم للكلب الذي اعتبره القليوبي بمثابة «مؤدب»[٣] للرجل الذي لا يهتم بعائلته كما اعتبره محروم وبحاجة لمن يرحمه[٤] وذلك بلسان الإمام علي (ع).

وهذا يعني في النهاية أن الكلب لا يزال مثار جدال إلى يومنا هذا.

---

(١) القليوبي (ت ١٠٦٩/١٦٥٩): هو أحمد بن أحمد بن سلامة، أبو العباس، من أهل قليوب في مصر. وهو فقيه شافعي متأدب وعالم، من تصانيفه: تحفة الراغب، التذكرة في الطب، فضائل مكة والمدينة وبيت المقدس، أوراق لطيفة، الهداية والضلالة في معرفة القبلة من غير آلة، تعبير المنامات، فضلاً عن كتابه «حكايات وغرايب وعجايب ولطايف ونوادر ونفايس».

الزركلي: الأعلام جـ١ ص ٩٢. كحالة: معجم المؤلفين، جـ١ ص ١٤٨.

عصام شبارو: أسرار الكلاب، ص ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤.

(٢) القليوبي: حكايات وغرايب وعجايب ص ٢٢١.

(٣) المصدر نفسه ص ٦٥، ٦٦.

(٤) المصدر نفسه ص ٢٣٠.

تمهيد

دافع الجاحظ عن الكلاب في النصف الأول من القرن الثالث الهجري/التاسع للميلاد، وتزعم بعض المؤلفين المسلمين في موقفه هذا عبر قرون عديدة. ومع ذلك كان ابن المرزبان أول من أعلن صراحة هذا الموقف في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/النصف الأول من القرن العاشر للميلاد، عندما وضع كتابه «تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب»، فمن هو ابن المرزبان صاحب هذا العنوان الغريب الذي يصدم القارىء لأول وهلة؟.

١ ـ المؤلف، ابن المرزبان (ت ٣٠٩/٩٢١):

توجد نسختان من كتاب «تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب»، الأولى موجودة في خزانة مخطوطات برلين العربية[١] وتاريخها سنة ١٠٤٨/١٦٣٩ والثانية نشرها لويس شيخو في مجلة المشرق[٢] وتاريخها

(١) Ahlwardt: Arab. Handsch. V, 25.

(٢) مجلة المشرق سنة ١٩٠٩ المجلد ٧ ص ٥١٥ ـ ٥٣٣.

١٢٥٢/٦٤٨[1]. وقد اختلفت نسخة برلين عن نسخة المشرق حول وفاة المؤلف ابن المرزبان، ففي الأولى توفي سنة ٩٢١/٣٠٩ وفي الثانية ٩٧٧/٣٦٦، مما يعني خلافاً في هوية ابن المرزبان هذا. وللوصول إلى الحقيقة، انطلقت من كتابه «تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب» وبحثت عنه في مختلف المصادر والمراجع.

ففي كشف الظنون ذكر الكتاب مرة باسم «فضل الكلاب على اكثر ممن لبس الثياب»[2] ومرة باسم «تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب»[3] وفي معجم المؤلفين ورد الكتاب باسم «فضل الكلاب على أكثر ممن لبس الثياب» وينسب إلى ابي الحسن علي بن أحمد البغدادي الملقب بابن المرزبان (ت ٩٧٧/٣٦٦)[4] ويؤكد ذلك ما جاء في شذرات الذهب[5].

أما «الاعلام» فنسب الكتاب إلى أبي بكر محمد بن خلف المعروف بابن المرزبان (ت ٩٢١/٣٠٩)[6] وسماه «تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب» ويؤكد ذلك معجم المطبوعات الذي سماه «فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب»[7].

---

(١) كتبت هذه النسخة في ١٤ ذي القعدة سنة ١٢٥٢/٦٤٩، وقد قابلها بالأصل المتسخ عنه في ذي الحجة من تلك السنة اللغوي الشهير الحسن بن محمد بن الحسن الصفّانيّ.

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون جـ ٤ ص ٤٥٤.

(٣) المرجع نفسه جـ ٥ ص ٩٧ وجـ ٦ ص ٣٢٨.

(٤) ابو الحسن علي بن أحمد البغدادي، ابن المرزبان (ت ٩٧٧/٣٦٦): فقيه شافعي درس ببغداد ومن تصانيفه: فضل الكلاب على أكثر ممن لبس الثياب.
عمر كحالة: معجم المؤلفين جـ ٧ ص ١٢.

(٥) ابن العماد: شذرات الذهب جـ ٣ ص ٥٦.

(٦) الزركلي: الاعلام جـ ٦ ص ١١٥.

(٧) يوسف سركيس: معجم المطبوعات ص ٩٨.

وفي «الفهرست» وردت كتب محمد بن خلف (ابن المرزبان)[1]، ولم يذكر منها كتاباً اسمه «فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب» أو «تفضيل الكلاب. . . » وما شابه ذلك. كما ذكر محمد بن سهل بن المرزبان[2] الكرخي ولم يذكر شيئاً من تصانيفه باسم فضل أو تفضيل الكلاب. . .

وعلى هذا الاساس ينحصر ابن المرزبان مؤلف كتاب «تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب» في اسمين هما أبو الحسن علي بن أحمد (ت ٩٧٧/٣٦٦)، وأبو بكر محمد بن خلف (ت ٩٢١/٣٠٩).

وهكذا يكون ابن المرزبان صاحب كتاب «تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب»، هو أبو بكر محمد بن خلف المحولي المتوفي سنة ٩٢١/٣٠٩[3]. كما جاء في نسخة برلين، مما يعني وقوع لويس شيخو في الخطأ بعد أن غاب عنه أن النسخة التي نشرها في مجلة المشرق تبدأ بـ «. . . أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان إجازة. . »[4].

---

(١) ابن النديم· المهرست ص ١٢٨، ٢١٣، ٢١٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٩٧.

(٣) ابن المرزبان (ت ٩٢١/٣٠٩): هو محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام (ابو بكر المحوّلي)، مؤرخ، مترجم، عالم بالأدب، نسبته إلى المحوّل وهي قرية غربي بغداد كان يسكنها. له أكثر من خمسين منقولا من كتب الفرس وله تصانيف منها «الحاوي في علوم القرآن» و «الجلساء والندماء» و «النساء والغزل» و «من غدر وخان» و «فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب» و «المنتخب من كتاب الهدايا». وله شعر اورد الخطيب البغدادي قصيدة منه وكذلك التنوخي في نشوار المحاضرة.
ابن الجوزي: المنتظم جـ ٦ ص ٥٨.
الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ ١٠ ص ٩٢.
التنوخي: نشوار المحاضرة جـ ٤ ص ١٤٣ و١٤٤.
الزركلي: الاعلام جـ ٦ ص ١١٥.
سركيس: معجم المطبوعات ص ٩٨. عصام شبارو: أسرار الكلاب ص ٢٧٣ ـ ٢٩٠.

(٤) مجلة المشرق م ٧ ص ٥١٧.

ومما يؤكد أيضاً أن أبا بكر محمد بن خلف المتوفي سنة ٩٢١/٣٠٩ هو ابن المرزبان صاحب كتاب تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب، أن القاضي التنوخي المتوفي سنة ٩٩٤/٣٨٤ قد نقل الكثير من الأخبار التي وردت بلسان ابن المرزبان وأوردها في كتابيه النشوار والفرج[1]، وعندما يذكرها كان يشير إلى أنه أخبر بها عن طريق فلان وفلان. . حتى يصل إلى ابن المرزبان مما يؤكد أن ابن المرزبان قد توفي قبله أي سنة ٩٢١/٣٠٩ وليس كما ذكر شيخو سنة ٩٧٧/٣٦٧. والتنوخي يذكر في نشوار المحاضرة أن محمداً بن خلف بن المرزبان قال: «اجتمع عندي أحمد بن أبي طاهر (ت ٨٩٣/٢٨٠) والناشيء[2] (ت ٩٠٦/٢٩٣) ومحمد بن عروس[3]، وبتاريخ وفاة أحمد بن أبي طاهر ووفاة الناشيء، نؤكد صحة وفاة ابن المرزبان سنة ٩٢١/٣٠٩ مما يعني أنه أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان.

ويذكر التنوخي أيضاً أن أبا بكر محمد بن خلف بن المرزبان كتب إلى جدّ أبي عمر بن حيويه (ت ٩٩٢/٣٨٢) يعاتبه شعراً[4]، مما يثبت أن هذا الجدّ كان معاصراً لابن المرزبان المتوفي سنة ٩٢١/٣٠٩.

---

(١) التنوخي: **نشوار المحاضرة** جـ ٤ ص ١٤٣و ١٩٩ و ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢٢٨ و ٢٣٠ و٢٨٦ وجـ ٥ ص ٨٩ و٩٠ و٩٤ و٩٦ و(١٠٤ - ١١٠) و١١٢ و١١٥ و١١٨ و١٣٧ و١٥٥ و١٥٧ و١٥٨ و١٦٢ و١٦٦ و١٨٣ و٢٤٣ و٢٤٩ و٢٨٤ و٢٨٧ و٢٨٨ وجـ ٦ ص ٧١ و١٦٧ و١٦٨ و(٢١٦ - ٢٢١) و٢٢٧ و٢٢٨ و٢٢٩ و٢٣٣ و٢٣٤ و(٢٣٨ - ٢٥٠) وجـ ٧ ص ٢١ و٦٥ و٩٠ و٩١ و٩٥ و١٣٤ و(٢١٨ - ٢٢٥).

الفرج بعد الشدة: جـ ١ص ٣٧١ وجـ ٣ ص ١٣٣ و١٩١ و٣٣٩.

(٢) الناشيء (ت ٢٩٣ / ٩٠٦) أبو العباس عبد الله بن محمد الأنباري الملقب بالناشيء، شاعر مجيد، نحوي عروضي متكلم منطقي. توفي بمصر واصله من الأنبار وكان فيه هوس.

ابن خلكان: **وفيات الاعيان** جـ ٢ ص ٢٧٧.

الزركلي: **الاعلام** جـ ٤ ص ١١٨.

(٣) التنوحي: **نشوار المحاضرة** جـ ٤ ص ١٤٣.

(٤) المصدر نفسه جـ ٥ ص ٢٤٣.

ثم إن الخطيب البغدادي ذكر أخاً لابي بكر محمد بن خلف بن المرزبان يدعى أبو عبد الله أحمد بن خلف بن المرزبان[1] (ت ٩٢٢/٣١٠)، وقال عنه إنه كان صاحب أخبار وملح وأشعار.

وعلى هذا الأساس يكون ابن المرزبان صاحب كتاب **تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب** هو أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان المتوفي سنة ٩٢١/٣٠٩.

٢ ـ محتوى الكتاب ومصادره:

يتألف الكتاب من مقدمة و٤٢ عنواناً في فضائل الكلاب وخاتمة.

تبدأ المقدمة بالبسملة ثم بذكر الرواة الذين أخبروا عن ابن المرزبان. وقد اختلفت نسخة برلين عن نسخة مجلة المشرق في مطلعها وأسماء الرواة. فتبدأ نسخة برلين بـ:

«قال الشريف السيد القاضي شرف الدين... أبو علي محمد بن الشريف القاضي أبي البركات أسعد بن علي الحسيني الحرّاني النسّابة أخبرني الشيخ... أبو محمد عبد المولى بن أبي عبد الله الليثي اللخمي المالكي إجازة في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة الخ... أخبرني أبو عمر محمد بن زكريا بن حيّويه الحرّاني».

في حين تبدأ نسخة المشرق بـ:

«أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسّن بن علي التنوخي قراءة عليه فأقربه قال: أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيّويه قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان إجازة»[2].

ويذكر ابن المرزبان في المقدمة الدوافع التي دعته لتسطير هذا الكتاب

---

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ ٤ ص ١٣٥.

(٢) مجلة المشرق، م ٧ ص ٥١٧.

وتتلخص بالزمن الرديء الذي عاشه وفساد مودة أهله وخسة أخلاقهم. لذلك كانت هذه المقدمة بمثابة باب يشتمل على ٥٤ بيتاً من الشعر تنعي الرجال المقتدى بأعمالهم وندرة الكرام وأهل الفضائل، وتشكي من الكذابين والبخلاء واللئام... وذلك على لسان لبيد بن ربيعة، أبو العباس المُبَرِّد، بشر بن الحرث، أبو عبد الله السَّدُوسيّ، أبو تمام، علي بن العباس الرومي، أبو هفَّانَ، زيد بن علي، دعبل بن علي الخُزاعيّ، كثيّر عزّة، ابن طاهر الكاتب، وغيرهم... كما ذكر بعض ما روي عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه بالنسبة لفساد الناس. وتوَّج المقدمة بقصة عبد الله بن هلال الكوفي وابليس.

وبعد المقدمة، جمع ابن المرزبان ما جاء في فضل الكلب على شرار الاخوان، ومحمود خصاله في السر والاعلان. فذكر ٨٤ بيتاً من الشعر في ذلك، وقد أنشدها الحسن بن عبد الوهاب، أبو العباس الأزدي، إبراهيم بن هرمة، أبو نواس، أبو عبيدة، الحارث بن صعصعة، الحسن بن مالك الغنوي، مالك بن الوليد، صعصعة بن خالد وغيرهم... هذا فضلاً عن عشرة أبيات في هجاء أبي سماعة المعيطي لخالد بن برمك.

كما ذكر حوالي ٢٤ قصة في وفاء الكلب الذي يموت على قبر صاحبه[1]، أو ينقذ صاحبه من الموت[2]، أو يكشف عن القاتل[3]، أو يحمي أطفال أصحابه[4]، وكذلك فيمن أفسد الصديق حرمة صديقه فأقام الكلب حرمته[5]، وفي حماية قافلة الحج من اللصوص[6]، وفي الترحيب

---

(١) ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، قصة ٨.

(٢) المصدر نفسه، القصص ٢٢، ٢٤، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٤٠.

(٣) المصدر نفسه، قصة ٢٣.

(٤) المصدر نفسه، قصة ٢٦، ٤٢.

(٥) المصدر نفسه، القصص ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩.

(٦) المصدر نفسه، قصة ٢٥.

بصاحبه وضيفه[1]، وفي أنه خير الندماء[2]، ويقوم بمهمة ساعي البريد[3]، حتى اللص يتوب على يديه[4].

ولم يغفل ابن المرزبان ما ذكره النبي ﷺ فيه وكذلك زوجته ميمونة، ثم الخليفة عمر بن الخطاب وابن عمر رضي الله عنهما... كما ذكر الكثير من اقوال الفقهاء والحكماء والأدباء ليدعم رأيه مثل ابن عباس والأحنف بن قيس والشعبي ومالك بن دينار وأبو بكر والجاحظ... ليجد في الكلب أنه أشفق من الأب والأخ في نصح أهله[5]، فهو نعم الصاحب يحفظ العهد ويحمي الماشية[6]، وله منزلة عند الملوك والنساك[7]، وفيه الكثير من شريف الخصال[8]، وهو أخيراً خير من الانسان وما به سلب وما فيه سبّ، فلا غرو من التمسك به[9].

وهذه القصص والأقوال، ذكرها ابن المرزبان بصورة متتابعة، فاخترت لها عناوين مختلفة وصلت إلى ٤٢ عنواناً تبرز ما هدف إليه ابن المرزبان.

وفي الخاتمة يؤكد ابن المرزبان على ميزة الكلب عن سائر الحيوان في حب وطاعة ربّه. ثم ينهي كتابه بحمد الله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد وآله.

ويعتبر كتاب «الحيوان» للجاحظ (ت ٢٥٥/٨٦٩) من المصادر التي

(١) ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، القصص. ٩، ١١، ١٢.
(٢) المصدر نفسه، قصة ٦.
(٣) المصدر نفسه، قصة ٢٨.
(٤) المصدر نفسه، قصة ٢٩.
(٥) المصدر نفسه ص ٥٣، ٥٤، ٧٩، ٨٠.
(٦) المصدر نفسه، ص ٥٥، ٥٦، ٦٠.
(٧) المصدر نفسه، ص ٧٠، ٧١، ٧٦، ٧٧.
(٨) المصدر نفسه، ص ٧٢، ٧٥، ٨١، ٨٤، ١٠٨، ١٠٩.
(٩) المصدر نفسه، ص ٥٧، ٦٥، ١١٠.

اعتمد عليها ابن المرزبان في تسطير كتابه «تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب». فقد أورد ستة أبيات لأبي نواس (ت ١٩٨/٨١٤) كان الجاحظ قد ذكرها ضمن قصيدة في «الحيوان»(١) كما ذكر قصة الكلب الذي دفن بعضهم صاحبه في البئر فأنقذه وقد وردت أيضاً في الحيوان(٢). ثم نجد مقاطع وردت كما هي في تفضيل الكلاب والحيوان معاً(٣)، مثل «والكلب يحرس ربه ويحمي حريمه شاهداً وغائباً ونائماً ويقظان، ولا يقصر عن ذلك وإن جفوه لا يخذلهم وإن خذلوه»(٤) و«مما يدل على قدر الكلب كثرة ما يجري على السنة الناس من (مدحه) بالخير والشر وبالحمد وبالذم حتى ذكر في القرآن (مرة بالحمد ومرة بالذم) و(بمثل ذلك ذكر) في الحديث و(كذلك) في الأشعار والأمثال حتى استعمل على طريق الفأل والطيرة والاشتقاقات للأسماء»(٥) و«الكلب يعرف صاحبه، وهو والسنّور يعرفان أسماءهما ويعرفان منازلهما ويألفان مواطنهما، إذ طردا رجعا وإن أجيعا صبرا، وإن أهينا احتملا»(٦) وهي أساساً من «الحيوان» وقد اقتطعه ابن المرزبان كما يقول هو في مستهل كتابه «وسألتني أعزك الله أن أجمع لك ما جاء في فضل الكلب على شرار الإخوان ومحمود خصاله في السر والاعلان»(٧).

ومن جهة ثانية تحول كتاب «تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب» إلى مصدر ينقل عنه الآخرون، ويبدو أن القاضي التنوخي

---

(١) الجاحظ: الحيوان جـ٢ ص ٣٥، ٣٦.
ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، ص ٧٢، ٧٣.
(٢) الجاحظ: الحيوان جـ٢ ص ١٢٢، ١٢٣. ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، ص ٨٥ ـ ٨٧.
(٣) الجاحظ: الحيوان جـ١ ص ١٩٦، ٢٨٣، ٢٩٨ وجـ٢ ص ٣٦ ـ ٣٩، ٨٦، ١٢٨، ١٢٩، ١٦١، ١٧٣، ١٩٣. ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، ص ٥٣، ٧٢، ٧٤، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ١٠٨.
(٤) الجاحظ: الحيوان جـ٢ ص ١٧٣. ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، ص ٥٣.
(٥) الجاحظ: الحيوان جـ٢ ص ٨٦. ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، ص ٧٤.
(٦) الجاحظ: الحيوان جـ١ ص ١٩٦. ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، ص ٧٩.
(٧) ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، ص ٥٠

(ت ٣٨٤ / ٩٩٤) قد نقل أخباراً كثيرة عن ابن المرزبان، كما نقل عنه معظم القصص التي تتعلق بالكلاب ووضعها في كتابه «نشوار المحاضرة»[١]. مثل قصص الحارث بن صعصعة[٢] والحسن بنُ مالك الغنوي[٣] وصعصعة بن خالد[٤] الذين أفسد الصديق حرمتهم فأقام الكلب حرمة كل منهم. وكذلك قصة الكلب الذي مات حزناً على صاحبه[٥]. والكلب الذي يدافع عن صاحبه ضد جاره[٦]. وفضل الكلب على جندي يدعى نسيم غدر به صاحبه[٧]. والكلب الذي يدفع حياته ثمناً لانقاذ الملك من شرب اللبن المسموم[٨] أو لانقاذ ابن صاحبه من الأفعى[٩]. وكذلك وردت بعض القصص في الكلب الذي انقذ صاحبه من الثعبان الأسود بواسطة النباح[١٠] والكلب الذي يحمي صاحبه من السرقة[١١] والكلب الذي ينقل الأخبار مثل ساعي البريد[١٢]. وعن كلب ميمونة[١٣] زوجة النبي ﷺ.

(١) التنوخي: نشوار المحاضرة جـ ٤ ص ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٢٨ وجـ ٦ ص ٢١٦ - ٢٢١، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤٥، ٢٤٧ وجـ ٧ ص٩٠، ٩١، ٩٥، ٢١٨ - ٢٢٥.

(٢) ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، قصة ٣٨. - التنوخي: نشوار المحاضرة جـ ٦ ص ٢٤٥.

(٣) ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، قصة ٣٦. - التنوخي: نشوار المحاضرة جـ ٦ ص ٢٤٧.

(٤) ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، قصة ٣٩. - التنوخي: نشوار المحاضرة جـ ٦ ص ٢٢٩.

(٥) ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، قصة ٨. - التنوخي: نشوار المحاضرة جـ ٧ ص ٢١٨.

(٦) ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، قصة ٣١. - التنوخي: نشوار المحاضرة جـ ٦ ص ٢١٩.

(٧) ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، قصة ٢٧. - التنوخي: نشوار المحاضرة جـ ٤ ص ٢٠٦، ٢٠٧.

(٨) ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، قصة ٢٤. - التنوخي: نشوار المحاضرة جـ ٧ ص ٢٢٤، ٢٢٥.

(٩) ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، قصة ٤٢. - التنوخي: نشوار المحاضرة جـ ٦ ص ٢٢٨.

(١٠) ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، قصة ٤٠. - التنوخي: نشوار المحاضرة جـ ٦ ص ٢١٦.

(١١) ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، القصتان ٣، ٢٥. - التنوخي: نشوار المحاضرة جـ ٧ ص ٩٠، ٩١.

(١٢) ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، قصة ٢٨. - التنوخي: نشوار المحاضرة جـ ٧ ص ٩٥.

(١٣) ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، قصة ٤١. - التنوخي: نشوار المحاضرة جـ ٦ ص ٢١٧.

كما أن الدميري (ت ٨٠٨/١٤٠٥) نقل أيضاً بعض القصص عن القاضي التنوخي وعن ابن المرزبان ووضعها في كتابه «حياة الحيوان الكبرى». مثل قصة الحارث بن صعصعة الذي أقام الكلب حرمته[١] والكلب الذي قتل سارق الماشية[٢] والكلب الذي انقذ الملك من الموت[٣].

مع الاشارة إلى أنَّ هناك بعض القصص التي سقطت من مخطوطة «تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب» وقد عثرت على بعضها بالرجوع إلى المصادر المختلفة، فأعدتها إلى مكانها الطبيعي في الكتاب. ومنها قصة وردت في الحيوان عن الجرو الذي غاب عنه صاحبه عدة أشهر وعندما عاد وكان قد أصبح كلباً فعرفه بسرعة[٤]، وكذلك قصة وردت في نشوار المحاضرة ووضعت لها عنوان: أحبها لحبها سود الكلاب[٥]، وقصة أخرى عن كلب يكشف قاتل سيده[٦]، وكذلك نعت أبو نواس لكلب اعتبره نعم الخليل والأخ المواسي[٧]، هذا فضلاً عن رأي الامام الشافعي في مجاورة الكلاب[٨] ورأي أبي أسيد الفزاري[٩].

(١) ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، قصة ٣٨. ـ الدميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ٢ ص ٢٢٧.

(٢) ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، قصة ٣. ـ الدميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ٢ ص ٢٢٧.

(٣) ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، قصة ٢٤. ـ الدميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ٢ ص ٢٢٧، ٢٢٨.

(٤) الجاحظ الحيوان جـ ٢ ص ١٢٨، ١٢٩.
ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، قصة ١١.

(٥) التنوخي: نشوار المحاضرة جـ ٦ ص ٢٤٠. السراج: مصارع العشاق جـ ٢ ص ٣٦.
ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، قصة ٣٣.

(٦) التنوخي: نشوار المحاضرة جـ ١ ص ٣٤٠.

(٧) ديوان أبي نواس ص ٦٤٢.

(٨) الاصبهاني: حلية الأولياء جـ ٩ ص ١٤٩. الدميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ٢ ص ٢٣٠.

(٩) الدميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ١ ص ٣٨٧.

٣ ـ تسمية الكتاب والدوافع التي أدت إلى وضعه :

عاش ابن المرزبان في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع هـ أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع م، أي في فترة حكم الخلفاء العباسيين المعتضد والمكتفي والمقتدر. ولعله تأثر بالصورة المتناقضة في حكم هؤلاء وهو يسكن قرية المحوّل قرب بغداد[١]. فاعجب بدولة المعتضد (ت ٢٨٩/٩٠٢) التي أقامت العدل واصلحت الحال بعد أن امتلأت خزائن المال حتى بلغت تسعة عشر ألف الف دينار. ثم ساءه التدهور مع دولة المكتفي (ت ٢٩٥/٩٠٨) الذي قضى حكمه يحارب الثوار وينفق الأموال الكبيرة في سبيل ذلك حتى استفحل أمرهم في دولة المقتدر (ت ٣٢٠/٩٣٢) الذي كان ضعيفاً مبذراً، فسيطر الخدم والنساء على الحكم وساءت معهم أمور الناس فقل الكرام وكثر اللئام وعلا السادة الأحرار سفلتها، حيث القوي يأكل الضعيف. وقد وصف تدهور الدولة العباسية والناس معها بقوله[٢]:

ذهب الناس وانقضت دولة المجد ... فكل إلا القليل كلاب
ان من لم يكن على الناس ذئباً ... أكلته في ذا الزمان الذئاب

وهذا يؤكد كيف انقضت دولة المجد، أي دولة المعتضد وكان بعدها الضعف والانحلال. . . وحيث إنه يذكر البخيل والكذاب فيبدو أن ابن المرزبان كان من المحرومين وسط هذا المحيط القلق المليء باللئام وسفلة الناس. . . وقد وصف ذلك بقول عبد الله السدوسي الذي يبحث عن الكرام فلم يجدهم[٣]:

---

(١) الزركلي: الاعلام جـ ٦ ص ١١٥.
(٢) ابن المرزبان: تفضيل الكلاب ص ٤٨.
(٣) المصدر نفسه ص ٤٧.

ذهب الذين هم الغياث المسيل وبقي الذين هم العذاب المنزلُ
أما الفقير فحاسدٌ متفطرٌ حسداً وأما ذو الثراء فيبخلُ

وذكر ما قاله أبو هفان وهو راجلٌ[1]:

أرجلني قلة الكرام وكثرة المال في اللئامِ
وليس هذا عليَّ وحدي هذا شقاءٌ على الأنامِ

كما ينعي الرجال الكرام الذين كانوا قدوة للناس بقول بشر بن الحرث[2]:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزيّن بعضهم بعضاً ليدفع مُعْوِرٌ عن مُعْوِرِ

وعلى هذا الأساس وجد في الكلب وسيلته ليحدد موقفه وسبب اختياره له بقوله[3]:

تخيرت من الأخلا ق ما ينفى عن الكلب
فإن الكلب مجبول على النصرة والذَّب
وفيٌّ يحفظ العهد ويحمي عرصة الدرب

وكما يقول في مستهل كتابه: «وسألتني أعزك الله أن أجمع لك ما جاء في فضل الكلب على شرار الإخوان ومحمود خصاله في السر والاعلان»[4].

وهكذا تخير من الاخلاق ما ينفي عن الكلب ويخالف ما يقال فيه، وجمع قصصاً في وفاء الكلب ليبرز غدر وخيانة الإنسان، كما جمع أشعاراً في

---

(١) ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، ص ٤٩.
(٢) المصدر نفسه، ص ٤٧.
(٣) المصدر نفسه، ص ٦٠.
(٤) المصدر نفسه ص ٥٠.

إلف الكلب وحبه لأهله، ليظهر لنا كره الإنسان لأخيه الإنسان. . . والإنحلال والفساد في زمانه، وندرة وجود الصديق الصالح، وفساد الأخلاق، وتفشي الكذب، وكثرة من كان له وجهان في الناس. . . كل ذلك دعاه لتأليف هذا الكتاب، وهو يقول: «ذكرت أعزك الله زماننا هذا وفساد مودّة أهله وخسّة أخلاقهم ولؤم طباعهم. . . فذهب اليوم من يعد الخير ومات من كان يعتذر من الذنب. . .[1] ولو فتشت في دهرنا لوجدت مثل صاحب الكتاب كثيراً ممن تعاشره إذا لقيك رحّب بك وإذا رغبت عنه أسرف في الغيبة وتلقاك بوجه المحبة ويضمر الغش والمسبة»[2].

وهذه كلها من الأمور التي نهى عنها القرآن الكريم والنبي ﷺ في حديثه[3]، والصحابة في أقوالهم، والحكماء في وصاياهم[4]. ويتوج ابن المرزبان وصفه لحالة أهل زمانه بقصة خيالية عن أحدهم الذي شكا جاره إلى ابليس، رغم أن هذا الجار كان نعم الصديق والجار، فتمنى زوال نعمته وماله مما جعل ابليس نفسه يصرخ مؤكداً أن الله خلق من هو شر منه، ويقصد بذلك الانسان[5].

هذه الدوافع دعت ابن المرزبان إلى تسطير كتابه هذا، فاختار الكلاب وذكر الأشعار والقصص في مدحها وفضائلها ووفائها وفضلها على الإنسان ليرفع من قدرها. ثم دعا ابن المرزبان للتمسك بالكلب لأنه خير

---

(١) ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، ص ٤٦.
(٢) المصدر نفسه، ص ٥٠.
(٣) المصدر نفسه، ص ٥٠.
(٤) المصدر نفسه، ص ٥١.
(٥) المصدر نفسه، ص ٥٠.

من ناس هذا الزمان، وأوفى ذماماً من كثير من الناس. وكانت نصيحة «اشدد يديك بكلب إن ظفرت به»[1].

وعلى هذا الأساس اختار عنوان الكتاب «تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب»، مما يعني في النهاية أن ابن المرزبان هو أحد المدافعين عن الكلاب.

٤ ـ أهمية الكتاب:

ارتأى ابن المرزبان وضع كتابه تحت عنوان «تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب»، لذلك يظهر الكتاب للوهلة الأولى من عنوانه أنه يحط من مكانة وقدر الجنس البشري بتفضيل الكلاب عليه. ويبدو أن ابن المرزبان لم يقصد بكتابه هذا الوصول إلى مقارنة الكلب بالانسان، أو تفضيل الكلاب على كثير من بني آدم. كما أن القصد ليس بخس الجنس البشري والتشهير بالإنسان والحط من صورته وقدره وجعله في مرتبة دون مرتبة الكلب.

لكن الحقيقة أن الزمن الرديء الذي عاش فيه ينطبق على كثير من الأزمنة التي مرت بها أمتنا بعد انقضاء دولة العروبة والاسلام، فلا غرو إن وجد في الكلب خير مثال يفجر ما يجول في داخل الرجال المقتدى بأعمالهم وأهل الفضائل والكرام ضد رجال السوء والمكر والخديعة وضد فساد أخلاق الناس وتفشي الكذب والنفاق، ولمواجهة الشر ولؤم الطباع وقسوة الدهر.

ومن هذا المنطلق وضع هذا العنوان لإرشاد الإنسان عامة والعرب

---

(١) ابن المرزبان: تفضيل الكلاب، ص ٦٥.

خاصة بمثال الحيوان. فمن وفاء الكلب وألفه وحبه لأهله ومحمود خصاله في السر والعلن وحفظه العهد أبد الدهر وعدم نفاقه في ذلك كله، أمثولة لزمنه هذا حيث الغدر والخيانة، وطعن الشقيق للشقيق، وندرة وجود الصاحب الصالح، وكثرة من كان له وجهان ولسانه اثنان، وكره الانسان لأخيه الانسان، بعد أن استحالت مودة الإخوان... وهذه كلها من الأمور التي نهت عنها الأديان السماوية عامة والقرآن الكريم والحديث الشريف خاصة، لأنها ترمز إلى الضعف والانحلال والفساد وانقضاء دولة العروبة والاسلام.

وعلى هذا الأساس بحث عن الأمثال والأشعار والقصص التي قيلت في وفاء وإخلاص وألف الكلب، ونظر إلى الكلب من هذه الزاوية فقط، متغاضياً عن الوجه الآخر للكلب، هذا الحيوان الذي يوصف أيضاً بالبخل واللؤم والغدر والخيانة والذل والاحتقار والسب والشتيمة والنجاسة وخبث الرائحة والسوءة ونكران الجميل والجبن وقبح الهيئة والنسب... وهذا ما يزيد من أهمية العنوان الذي اختاره، فمن تناقض الصفات الغريبة في الكلب رمز ومثال للأمة التي شغلت الناس بعضهم يدافع عنها وبعضهم يتعرض لها بالهجوم، نجدها تارة في ذروة المجد والقوة والشجاعة والوفاء والأخلاص، وتارة في الحضيض والذل والهوان والجبن والضعف والانحلال...

وما ذلك الانحياز من جانب ابن المرزبان إلى الكلب ومدحه وابراز فضله على الانسان، إلا بمثابة وقفة عتاب ودرس لانسان زمانه بعد أن ظهر ابن المرزبان وكأنه محروم ومتأثر بما يدور حوله. فلا عجب أن يتطرف المحروم أحياناً في موقفه من المجتمع الذي ينتمي إليه، حتى ظهر وكأنه يبالغ في ذلك الأمر عندما سمّى كتابه «تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب».

كتاب

تفضيل الكلاب على كثير من لبس الثياب

لأبي بكر محمد بن خلف
الشهير بابن المرزبان

المتوفي سنة ٣٠٩ هـ/ ٩٢١ م

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه أستعين

قال الشريف السيد القاضي شرف الدين.. أبو علي محمّد بن الشريف القاضي أبي البركات أسعد بن علي الحسيني الحرّاني النسّابة أخبرني الشيخ.. أبو محمد عبد المولى بن أبي عبد الله الليثي اللخمي المالكي اجازةً في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة[1]... أخبرني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن بن علي التنوخي[2] قراءة عليه فأقرّ به قال: أخبرني أبو عمر محمد بن العباس بن حيّويه[3] قال: أخبرني أبو بكر محمّد بن خلف بن

---

(١) هذا هو مطلع النسخة الموجودة في خزانة مخطوطات برلين العربية. أما النسخة التي نشرتها مجلة المشرق فمطلعها يقول: أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسن بن علي التنوخي قراءة عليه...

(٢) أبو القاسم التنوخي (٣٧٠ ـ ٤٤٧/ ٩٨٠ ـ ١٠٥٥): علي بن المحسّن بن علي بن محمد بن داود بن إبراهيم التنوخي القاضي وهو ابن القاضي أبو علي المحسن صاحب كتابي «نشوار المحاضرة» و«الفرج بعد الشدة». كان أبو القاسم من علماء المعتزلة، وقد تقلد القضاء في عدة نواح منها المدائن وقرميسين. كان ظريفاً نبيلاً، جيد النادرة.
ياقوت الحموي: معجم الأدباء، جـ ٥ ص ٣٠١ ـ ٣٠٩.
الزركلي: الاعلام، جـ ٥ ص ١٤٠.

(٣) ابن حيّويه (٢٩٥ ـ ٣٨٢/٩٠٧ ـ ٩٩٢): أبو عمر محمد بن العباس بن محمد بن زكريا بن يحيى بن معاذ الخزاز المعروف بابن حيّويه. وهو من كبار محدثي بغداد. كان ثقة. كتب طول عمره وروى المصنفات الكبار.
ابن الجوزي: المنتظم، جـ ٦ ص ١٦٤.
الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، جـ ٣ ص ١٢١.
الزركلي: الأعلام، جـ ٦ ص ١٨٢.

المرزبان[1] إجازةً قال: ذكرت اعزَّك الله زماننا هذا وفسادَ مودة اهلهِ وخسّة اخلاقهم ولؤم طباعهم وأنَّ أَبعَدَ الناس سفَراً من كان سفرهُ في طلب اخٍ صالحٍ الأمر كما وصفت. وقد رُوي عن أبي ذرٍّ الغفَاري[2] رَحمة الله عليهِ أنهُ قال: كان الناس ورقاً لا شوك فيهِ فصاروا اليوم شوكاً لا ورق فيهِ.

قال بعضهم: كنّا نخافَ على الإخوان كثرة المواعيد وشدَّة الاعتذارات وأن يخلطوا مواعيدهم بالكَذب واعتذارهم بالتزيّد فذهب اليوم من يعد الخيرَ ومات مَن كان يعتذرُ من الذنب. قال لبيدٌ[3]:

ذهبَ الذين يُعاشُ في أَكنافهمْ   وبقيتُ في خَلْفٍ كجِلْد الأَجْرَبِ

وأخبرنا أبو العباس اُلمبَرّد[4] قال حدَّثني بعضُ مشايخنا قال: كنتُ عند

---

(١) ابن المرزبان، مؤلف كتاب تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب.

(٢) أبو ذر الغفاري (ت ٦٥٢/٣٢): جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد، من بني غفار، أبو ذر. من الصحابة. يضرب به المثل في الصدق. سكن دمشق وجعل همه تحريض الفقراء على مشاركة الأغنياء في أموالهم ثم تابع ذلك في المدينة المنورة حيث توفي في الربذة.
الزركلي: الأعلام جـ ٢ ص ١٤٠.

(٣) لبيد بن ربيعة (ت ٦٦١/٤١): يكنى أبو عقيل. وهو من الشعراء المخضرمين، أدرك الاسلام وأسلم، تعد قصيدته من المعلقات السبع. وله شعر في الكلب، مثل:

يسعى خزيمة في قوم ليهلكهم   على الحبالة هل بالمرء من كلب

وذكر كلبين هما ركاح وسائل فقال:

فأصبح وانشق الضباب دهاجه   أخو قفزة يشلي ركاحاً وسائلاً

الجاحظ: الحيوان جـ ٢ ص ٩، ٢٠، ٧٦
الزركلي: الأعلام جـ ٥ ص ٢٤٠.

(٤) أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الله الاكبر الثمالي الأزدي (ت ٨٩٩/٢٨٦): ويعرف بالمبرّد، وله كتاب الكامل في اللغة والأدب.

بِشر بـن الحرث يوماً فرَأَيتُهُ مغموماً ما تكلَّم حتى غـربت الشمس ثم رفع رأسهُ فقال:

ذهبَ الـرجَـالُ المُقْتَـدَى بِفِعـاهُم والمُنْكـرون لكـلّ امـرٍ مُنْكَـرِ
وبقيتُ في خَلْفٍ يُـزيّن بعضُهـم بعضـاً ليـدفَـعَ مُعْـوِرٌ عَنْ مُعْـوِر

وانشَدَنا لغيرهِ:

ذهـب الـذين إذا رَأَوْني مُـقبـلاً سُرُّوا وقـالـوا مـرحبـاً بـالْمُقْبِـلِ
وبقى الـذيـن إذا رَأَوْني مُقبـلاً سَبُّـوا وقـالـوا لَيْتَـهُ لم يُقْبِـلِ

وقال آخر:

ذهب النـاسُ واستقلُّوا وصـرنْـا خـلفـاً في اراذلٍ نَـسـنـاسِ
في أُنـاسٍ تـراهُم العـينُ نـاسـاً فـاذا حُصلّوا فليسـوا بنـاسِ

وقال آخر:

ذهبَ المِلْح مـن كثـير مـن النـا سِ ومـاتَ الذين كـانوا مِـلاحـاً
وبقي الأَسْمَحـون من كلّ صنفٍ ليتَ ذا المَـوْتَ منهمُ قـد اراحـا

وقال آخر:

ذهب الـذين إذا غضبتُ تحملّوا وإذا جَـهلْت عـليهـم لم يَجْـهَـلُوا
وإذا اصبتُ غنيمـةً فَـرِحـوا بهـا وإذا بَـخلْتُ عـليهـمِ لم يَبْـخلُوا

انشدني أبو عبد الله السَّدوُسي:

ذهب الـذين همُ الغياثُ المُسْبَـلُ وبقي الـذين هُم العذاب المُنْزَلُ
وتقـطَّعت ارحـامُ أهـل زمـاننـا فكـأنَّمـا خُلقِت لِئَـلاَّ تـوصَـلُ
النـاسُ مشتَبهـونَ مَن كَشَّفْتَـهُ منهم كشفتَ عن الـذي لا يجملُ
أمَّـا الفقـير فحـاسـدٌ مُتفَـطّرٌ حسـداً وأمَّـا ذو الـثَّراء فيَبْخـلُ

وقال آخر:

ذهبَ الكرامُ فاصبحوا أمواتا ورقاً تطيّرهُ الرياحُ رُنانا
وتَبَذَّلَتْ عَرصَاتُهم من بعدهم بسوى نبات الصالحين نباتا
وبقيتُ في دهرٍ أُحاذِرُ شرَّهُ واخافُ فيهِ من الصديق بَيانا

وقال آخر:

وما الناسُ بالناسِ الذين عَهدْتَهم ولا الدارُ بالدارِ التي كُنْتَ تَعْرفُ
ولا كُلُّ من تَهْوى يُحِبُّكَ قَلْبُهُ ولا كلُّ من صاحبتَهُ لكَ مُنْصفِ

وقال آخر:

ذهبَ الناسُ وانقضت دولةُ المَجْدِ فكلٌّ إلاَّ القليلَ كِلابُ
انَّ من لم يكن على الناس ذئباً اكلتهُ في ذا الزمانِ الذئابُ
غير أنَّ الوجوهَ في صور النا سِ وأَبْدانُهم عليها الثيابُ
ليس تَلقى إلاَّ كَذُوباً بخيلاً بين عينَيْهِ للاياسِ كتابُ

وقال آخر:

ذهب الذين فضولهم معلومةٌ ولهم إذا قحطَ الزمان جفانُ
ذهبوا فليس لهم نظيرٌ واحدُ أو لا تراهم لا ابا لك كانوا
لم يبقَ من أهل الفضائل والنُهى إلاَّ فلانٌ باسمهِ وفلانُ

وقال آخر:

سلَفٌ مضى وبقيت بعدهمُ وكذلك يَذْهَبُ من أَتى بعدي
تركوا الذي جمعوا لغيرهمِ وكذلك اتركهُ لمن بعدي

وقال أبو تمام:

فلو رُفعت سناتُ الدهرِ عنهُ وأَلْقي عن مناكِبهِ الدِثارُ
لعدَل قسْمةَ الايام فينا ولكن دهرنا هذا حمارُ

ولغيره:

ذهب المُفضلون والسَّلف المو | فُونَ بالعهد منهم والعقودْ
ثمَ خُلّفْتُ في عباء من النا | س أُقاسيهمِ ودهر شديدْ
فيه ساءَ الهلْباجَةُ الحُوَّلُ | القُلَّبُ والسيّد استوى والمَسُودْ
فلو أنَّ الامورَ كانت تُفادى | لفدينا المفقود بالمَوْجودْ

أُنشِدنا لعلي بن العبَّاس الرومي:

ذهب الذين تهزُّهم مُدَّاحهم | هَزَّ الكُماةِ أعنَّةَ الفرسانِ
كانوا إذا مُدِحوا رَأَوا ما فيهم | فالاريحيَّةُ منهمُ بمكان
والمدحُ يَقدَحُ قلبَ من هو اهلهُ | قَدْحَ المَواعظِ قلبَ ذي ايمانِ
فدَعِ اللئامَ فما ثَوابُ مديحهم | إلَّا ثواب عبادةِ الاوثانِ
كم قائلٍ لي منهمُ ومدحتهم | بمدائح مثل الرياضِ حسانِ
احسنتَ وَيحكَ ليس فيَّ وانَّما | استحسنُ الحَسَناتِ في ميزاني

وانشدني أبو هفَّانَ:

لا تَعْجَبُوا أَن تَرَوْني بين أَظْهُرِكم | امشي ويركَبُ قومٌ ما همُ احدا
لَئنْ عَلا السَّادَةَ الاحرارَ سفْلَتُها | إنَّ الغُثاءَ لَيَعْلُو الماءَ والزَّبَدا

قال ولقيَهُ اسماعيل بن بُلْبل[1] يوماً وهو راجلٌ فقال: مالي اراك راجلاً. فقال:

أَرْجَلَني قِلَّة الكِرامِ | وكَثرةُ المالِ في اللئامِ
وليس هذا عليَّ وحدي | هذا شقاءٌ على الأَنامِ

(١) اسماعيل بن بلبل: استوزره الموفق. ومدحه الشعراء وهجوه. وعندما ولي المعتضد الخلافة حبسه ثم قتله.
التنوخي: نشوار المحاضرة جـ١ ص ١٥١، ٢٥٧ ابن الطقطقي: الفخري، ص ٢٥٢.
المسعودي: مروج الذهب جـ٢ ص ٤٩٣.

سألتني اعزَّك الله أن أجمع لك ما جاء في فضل الكلب على شرار الإخوان ومحمود خصاله في السر والإعلان فقد جمعتُ ما فيهِ كفاية ولستُ أشكُّ انك اعزَّك الله عارفٌ بخبر عبد الله بن هلالٍ الكوفي في المخدوم صاحب الخاتم وخبر جارهِ وما سألهُ من الكتاب إلى ابليس لعنهُ الله في حاجةٍ لهُ وإن كان العقلُ يدفع هذا الخبر فهو مثلٌ حسنٌ يُعرف مثلهُ في سائر الناس. فكتب لهُ الكتاب وأكد لهُ غاية التأكيد ومضى وأوصل الكتاب إلى ابليس فقرأهُ ووضعهُ على عينيهِ وقال: السمع والطاعة لابي محمَّد فما حاجتك. قال: لي جارٌ مُكرم لي شديد الميل اليّ يُشفق عليَّ وعلى اولادي إن كانت لي حاجة قضاها وإن احتجتُ إلى قرضٍ اقرضني واسعفني وإن غبت خلفني في أهلي وولدي يُيسّرهم بكل ما يجدُ إليهِ السبيل. وابليس كل ما يسمع منهِ يقول: هذا حسنٌ وهذا جميلٌ. فلما فرغ من وصفهِ قال: فما تحبُّ أن افعل بهِ قال: أُريد أن تزيل نعمتهُ وتفقرهُ فقد غاظني امرهُ وكثرة مالهِ وبقاؤهُ وطولُ سلامتهِ. قال: فصرخ ابليس صرخةً لم يُسمع منهُ مثلها قط. فاجتمع عفاريتهُ وجندهُ وقالوا لهُ: ما الخبر يا سيدهم ومولاهم. فقال لهم: هل تعلمون أنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق خلقاً هو شرٌّ مني. قالوا: لا. قال: فانظروا إلى هذا القائم بين يديَّ فهو شرٌّ مني.

ولو فتَشتَ في دهرنا هذا لوجدت مثل صاحب الكتاب كثيراً، مّمن تعاشرهُ إذا لقيك رحَّب بك وإذ رغبت عنهُ أَسرف في الغيبة وتلقَّاك بوجه المحبَّة ويُضْمر الغشَّ والمسبَّة.

وقد علمت ما جاء في الغيبة فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: من كان لهُ وجهان في الناس كان لهُ يوم القيامة لسانان من نار. وقال ﷺ: ايَّاكم والغيبة فانها شرٌّ من الزنى إنَّ الرجل يزني ويتوب فيتوب الله عزَّ وجلَّ عليهِ وصاحب الغيبة لا يُغفر لهُ حتى يغفرها لهُ صاحبها.

وروُي عن بشر بن الحرث قال: قال الفُضيل بن عياض: لا يكون

الرَّجل من المتَّقين حتى يأمَنهُ عدوُّهُ. ثم قال الفضيل: هيهات ذهب اولئك وكيف يأمنه عدوُّهُ وهو يخافهُ صديقهُ.

وقال بعضهم: ذهب زمن الأنس ومن كان يُفاوض فاحتفظ من صديقك كما تحتفظ من عدوّك وقدّم الحزمّ في كل الامور وايَّاك أن تُنَبّهُ فيجاهر به في وقت الشرّ.

انشدني زيدُ بن عليّ:

احذرْ مودَّةَ ماذِقٍ   خلط المرارةَ بالحلاوَةْ
يحصي الذنوب عليك   أيَّامَ الصداقة للعداوَةْ

وقيل لبعض الحكماء: وأيُّ الناسِ احقُّ أن يُتَّقى. قال: عدوٌ قويٌ وسلطان غشومٌ وصديقٌ مخادِع. وانشد لدعبل بن عليّ الخُزاعي[1]:

عدوٌّ راحَ في ثوبِ الصديق   شريكُ في الصبوح وفي الغَبوق
لهُ وجهان ظاهِرُهُ ابن عمّ   وباطنهُ ابنِ زانيةٍ عتيقِ
يسرُّكَ مقبلاً ويسُوكَ غَيبْاً   كذاك يكونُ اولادُ الطريقِ

وقال كُثيّر عزَّة[2]:

أنتَ في معشرٍ إذا غِبْتَ عنهم   جعلوا كلَّ ما يزيُنك شَيْنا
فاذا ما رَأَوكَ قالوا جميعاً   أنت من اكرم الرجال علينا

---

(١) دعبل بن علي بن رزين الخزاعي (ت ٨٦٠/٢٤٦): أبو علي، شاعر هجاء. أصله من الكوفة وأقام ببغداد.
الزركلي: الأعلام جـ٢ ص ٣٣٩.

(٢) كثيربن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر (ت ٧٢٣/١٠٥): شاعرمتيم مشهور، من أهل المدينة، أكثر اقامته بمصر. سمي كثير عزَّة لأن أخباره مع عزَّة بنت جميل الضمرية كثيرة. وكان عفيفاً في حبه.
المرجع نفسه جـ ٥ ص ٢١٩.

انشد ابن طاهر الكاتبُ:

حـالَ عمَّا عَهـدِتَ ريبُ الـزمـانِ　　واستحـالـت مـودَّةُ الإخــوان
واستوى الناس في الخديعة والمكر　　فـكـل لـسـانـهُ إثـنـانِ

١ ـ أشفق من الأب والأخ

واعلم أعزك الله أنّ الكلب لمن يقتنيه أشفق من الوالد على ولده والأخ الشقيق على أخيه[١]، وذلك أنه «يحرس[٢] ربَّهُ ويحمي حريمهُ شاهداً وغائباً ونائماً ويقظان لا يقصر عن ذلك وإن جفوهُ ولا يخذلُهم وإن خذلوهُ»[٣].

---

(١) هذا يدل على الف الكلب وحبه لأهله ولمن أحسن إليه حتى قيل في المثل: آلف من كلب
الميداني: مجمع الأمثال جـ ١ ص ٣٨٨، ٣٨٩.

(٢) قيل إن نوح عليه السلام هو أول من اتخذ الكلب للحراسة وذلك لحماية سفينته من المفسدين أثناء صناعتها.
الدميري: حياة الحيوان الكبرى، جـ ٢ ص ٢٦٠.

(٣) هذا المقطع ورد في كتاب الحيوان في الحديث عن كرم الكلاب حيث جاء: «. . . (وهذا الكرمُ في الكلاب عامٌ). والكلب يحرُس ربَّه، ويحمي حريمه شاهداً وغائباً، (وذاكراً وغافلاً)، ونائماً ويقظان، ولا يقصِّر عن ذلك وإن جفوه، ولا يخذلهم وإن خذلوه.
الجاحظ: الحيوان جـ ٢ ص ١٧٣.
وهذا يعني أن ابن المرزبان نقل هذا المقطع عن الحيوان واغفل ذكر: «وهذا الكرم في الكلاب عام» و«وذاكراً وغافلاً».

٢ ـ نُصح الكلب لأهله

وروي أنَّ رجلاً قال لبعض الحكماء: أوصني. فقال: ازهد في الدنيا ولا تنازع فيها أهلها وانصَح لله عزَّ وجلَّ كنُصح الكلب لأهلهِ فإنهم يُجيعونهُ ويضربونهُ ويأبى إلاَّ أن يحوطهم نصحاً[١].

---

(١) وتبالغ الروايات في هذا الأمر حتى ذكرت بعضها أن الكلب عندما تبع أهل الكهف حاولوا طرده، فأنطقه الله تعالى ليقول: «لقد عرفت الله قبل أن تعرفوه بأربعين سنة». وقيل إن الكلب رفع يديه إلى السماء ونطق فقال: «لا تخافوا مني فإني أحب أحباء الله، فناموا حتى أحرسكم».
الدميري: حياة الحيوان الكبرى: جـ٢ ص ٢٣٨، ٢٤١.

٣ ـ حفظ الماشية

وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّهِ قال:[1] رأى رسول الله ﷺ رجلًا قتيلًا فقال: ما شأن هذا الرجل قتيلًا. قالوا: يا رسول الله وثب على غنم بني زُهرة فأخذ شاة فوثب عليه كلب الماشية[2] فقتلهُ. فقال النبي ﷺ: قتل نفسهُ وأضاع دينهُ وعصى ربَّهُ جلَّ وعزَّ وخان أخاهُ، وكان الكلب خيراً منه فعلًا، أيعجز أحدكم أن يحفظ أخاهُ المسلم في نفسهِ وأهلهِ كحفظ هذا الكلب ماشية أربابهِ.

---

(١) ذكر الدميري هذه القصة في حياة الحيوان الكبرى جـ ٢ ص ٢٢٧.

(٢) كلب الماشية: اتخذ الراعي كلب الضرع ليحرس الماشية وأولادها من الذئاب والسباع واللصوص عن طريق صياحه ونباحه فيشغلها بعض الشّغل إلى أن يلحق بها من يذود عنها.

الجاحظ: الحيوان جـ ١ ص ١٥٧، ٣٠٢، ٣٧٧.. وجـ ٢ ص ١٧٨، ٢٠٣.

٤ ـ نِعْمَ الصاحب

ورأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعرابياً يسوق كلباً[١]

فقال: ما هذا معك؟

فقال: يا أمير المؤمنين هو الصاحب إن أعطيته شكر وإن منعته صبر.

قال عمر: نِعْمَ الصاحب فاستمسك به.

ورأى ابن عمر رضي الله عنه[٢] مع أعرابي كلباً،

فقال: ما هذا معك؟

قال: من يشكرني[٣] ويكتم سرِّي

قال (ابن عمر): فاحتفظ بصاحبك.

---

(١) يبدو أن قصة الأعرابي وكلبه مع الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه هي نفس القصة مع ابن عمر رضي الله عنه، مما يعني أنها وردت بلسان أحدهما. وما يهمنا المدلول الذي يَرمي إليه في النهاية وهو أن الكلب نِعْم الصاحب.

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب (ت ٦٩٢/٧٣): ولد بمكة سنة ١٠ ق. هـ /٦١٣. من الصحابة، له في كتب الحديث ٢٦٣٠ حديثاً.
الزركلي: الأعلام جـ ٤ ص ١٠٨.

(٣) الشكر يدل على وفاء الكلب وذكر الميداني في مجمع الأمثال جـ ١ ص ٨٧، المثل: أشكر من كلب.

٥ ـ خير من الإنسان

قال الأحنف بن قيس[١]:

ـ إذا بصبص الكلب بك فانظر إلى بصبصته ولا تثق ببصابص الناس فرُبَّ مُبصبصٍ خوَّان.

(و) قال الشعبيّ[٢]:

ـ خير خصلة في الكلب أنه لا ينافق في محبَّتِهِ.

(و) قال ابن عباس[٣] رضي الله عنه:

ـ كلب أمين[٤] خير من إنسان خؤون.

---

(١) الأحنف بن قيس (ت ٦٩٠/٧٢): الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين التميمي، أبو بحر. ولد في البصرة سنة ٣ ق. هـ/٦١٩. أدرك النبي ولم يره. ولي خراسان، وأخباره كثيرة جداً.

الزركلي: الأعلام جـ ١ ص ٢٧٦، ٢٧٧.

(٢) الشعبيّ (ت ٧٢١/١٠٣): عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري، أبو عمرو. ولد بالكوفة سنة ٦٤٠/١٩. كان فقيهاً شاعراً، راوية من التابعين، يضرب المثل بحفظه.

المرجع نفسه، جـ٣ ص ٢٥١.

(٣) ابن عباس (ت ٦٨٧/٦٨): عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، أبو العباس. ولد بمكة سنة ٣ ق.هـ/٦١٩. من الصحابة روى عنه الحديث الصحيح.

المرجع نفسه، جـ ٤ ص ٩٥.

(٤) وقيل في المثل: أمين مثل كلب

قوشاقجي: الأمثال الشعبية جـ ١ ص ٦٠ وجـ ٢ ص ٥٠٤.

٦ ـ خَيْرُ النُّدماء

حدَّثنا القاسم بن محمد الرَّصديّ قال:

حدَّثنا مُحرز بن عون عن رجل عن جعفر بن سليمان. قال: رأيت مالك بن دينار ومعه كلب.

فقلت: ما هذا؟

قال: هذا خيرٌ من جليس السوء.

قال أبو عمر بن حيَّويه:

حدَّثنا أبو القاسم ابن بنت منيع قال: حدَّثنا مُحرز بن عون بهذا الحديث. حدثني ابن أبي طاهر قال: حدثني حَمَّاد بن اسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال: قال أبي[1]:

أتيت يوماً الفضل بن يحيى فصادفتهُ يشرب وبين يديه كلب.

---

(١) يذكر الدَّميري هذه القصة عن محمد بن حرب قال: دخلت على العتابي (ت ٢٢٠/٨٣٥) فوجدته جالساً على حصير وبين يديه شراب في إناء وكلب رابض بالفناء بحياله، يشرب كأساً ويولغه أخرى.

فقلت له: ما الذي أردت بما اخترت.

فقال: اسمع إنه يكف عني أذاه، ويكفيني أذى من سواه، ويشكر قليلي ويحفظ مبيتي ومقيلي، وهو من بين الحيوان خليلي.

قال ابن حرب فتمنيت والله أن أكون كلباً له، لأحوز هذا النعت منه.

الدَّميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ٢ ص ٢٦٥، ٢٦٦.

فقلت له: أتنادم كلباً.

قال: نعم ـ يمنعني أذاهُ ويكفّ عنّي أذى سواهُ، يشكر قليلي ويحرس مبيتي ومقيلي.

٧ ـ وفيٌّ يحفظ العهد

أنشدني الحسن بن عبد الوهاب، لرجلٍ يذم صديقاً له ويمدحُ كلباً:

تخَــيـرْتَ مــن الأَخْــلا ... قِ مــا يُــنْفَــى عن الـكَـلْبِ
فــإِنَّ الــكَــلْبَ مجــبــول ... عــلى الــنــصــرةِ والــذَّبِ
وفيٌّ يحــفظُ الــعــهــد ... ويحــمــي عــرصــةَ الــدَّربِ
ويــعــطيــك عــلى الــلينِ ... ولا يُــعــطي عــلى الــضَّــرْبِ
ويــشــفــيــك مــن الــغــيظِ ... ويــنــجــيــك مــن الــكَــرْبِ
فــلو أشْــبَــهْــتَــهُ لم تَــكُ ... كــانــونــاً عــلى الــقــلبِ

٨ ـ كلب يموت على قبر صاحبه[١]

وذكر بعض الرواة[٢] قال:

كان للربيع بن بدر كلبٌ قد ربَّاهُ فلما مات الربيع ودُفن جعل الكلب يتضرَّب[٣] على قبرهِ حتى مات.

وكان لعامر بن عنترة[٤] كلاب صيد[٥] وماشية، كان يحسن صحبتها، فلما مات عامر لزمت الكلاب قبرهُ حتى ماتت عندهُ وتفرَّق عنهُ الأهلُ والأقارب.

---

(١) أورد التنوخي هذه القصة في نشوار المحاضرة جـ ٧ ص ٢١٨.

(٢) ويقصد رواية الفقيه أبي موسى عيسى بن أبي عيسى القابسي عن القاضي أبي القاسم علي بن المحسن بن علي التنوخي، قراءة عليه.

(٣) التضرّب والاضطراب بمعنى واحد.

(٤) لعله عامر بن عذرة بن زيد اللات، وهو جدّ جاهلي، بنوه بطن من عذرة.
الزركلي: الأعلام جـ ٤ ص ٢٢.

(٥) كلاب الصيد: وتربى للصيد وهي التي تتبع الصياد أو تتقدمه في صيدها وخيرها البيض وشرها هي السود. وكلاب الصيد شديدة السرعة، وتمتاز بمهارتها في الاحتيال للصيد، وهي تصطاد لصاحبها. وتعتبر الإناث أصيد من ذكورها.
الجاحظ: الحيوان جـ ١ ص ١١٢، ١١٣ وجـ ٢ ص ٤٥، ٧٨، ٢٠٥، ٣٦٧.
عصام شبارو: أسرار الكلاب، ص ٢٩ ـ ٣٤، ١٨٣ ـ ١٩٤، ٢٣٤ ـ ٢٣٧.

٩ ـ وفاء الكلب وغدر أبي سماعة

ورُوي لنا عن شريكٍ(١) قال:

كان للأعمش(٢) كلبٌ يتبعه في الطريق إذا مشى حتى يرجع. فقيل له في ذلك، فقال: رأيت صبياناً يضربونهُ ففرقتُ بينهم وبينهُ فعرف ذلك لي فشكرهُ. فإذا رآني بصبص لي وتتبَّعني.

ولو عاش أيدك الله الأعمش إلى عصرنا، ووقتنا هذا حتى يرى أهل زماننا هذا، وسمع خبر أبي سماعة المعيطي ونظائره، لازداد في كلبه رغبة، وله محبة.

قال(٣): هجا أبو سماعة المعيطي، خالد بن برمك(٤)، وكان إليه

(١) شريك القاضي (ت ١٧٧/٧٩٣): أبو عبد الله شريك بن عبد الله بن الحارث النخعي. ولد ببخارى سنة ٧١٣/٩٥، فقيه عالم بالحديث. ولاه المنصور قضاء الكوفة سنة ١٥٣/ ٧٧٠ ثم عزله وأعاده المهدي ثم عزله الهادي. توفي بالكوفة.
الزركلي: الاعلام جـ٣ ص ٢٣٩. وأخباره في:
التنوخي: الفرج بعد الشدة جـ ٤ ص ٨٧، ٨٨ والمستجاد من فعلات الأجواد ص ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٦٤.

(٢) الأعمش (ت ١٤٨/٧٦٥): أبو محمد سليمان بن مهران الملقب بالأعمش. ولد بالري سنة ٦٨١/٦١ ونشأ وتوفي بالكوفة. عالم بالقرآن والحديث والفرائض.
الزركلي: الأعلام جـ٣ ص ١٣٥.

(٣) رواية أبو موسى القابسي عن القاضي أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي.

(٤) خالد بن برمك (ت ١٦٣/٧٧٩): ولد سنة ٩٠/٧٠٥ ويعتبر أبو البرامكة، وأول من تقلد الوزارة منهم في دولة بني العباس. كان سخياً، عاقلاً.
المرجع نفسه، جـ ٢ ص ٣٣٤.

محسناً، فلما ولي يحيى[1] الوزارة، دخل إليه أبو سماعة، فيمن دخل من المهنئين.

فقال له: أنشدني الأبيات التي قلتها.

فقال: ما هي؟

قال: قولك:

زرتُ يحيى وخالداً مُخلصاً للـ ـه ديني فاستَصْغَرا بعض شاني
فلو أنّي ألحدت في الله يوماً ولو أنّي عبدتُ ما يَعْبُدانِ
ما استخفّا فيما أظن بشأني ولأصبحت منهما بمكانِ
إنَّ شكلي وشكل من جحد اللـ ـه وآياتِهِ لمختلفانِ

قال أبو سماعة: لا أعرف هذا الشعر، ولا من قاله.

فقال له يحيى: ما تملك صدقة إن كنت تعرف من قالها؟ فحلف.

فقال يحيى: وامرأتك طالق، فحلف.

فأقبل يحيى على الغساني، ومنصور بن زياد، والأشعثي، ومحمد بن محمد العبدي ـ وكانوا حضوراً في المجلس ـ وقال: ما أحسبنا إلّا وقد احتجنا أن نجدد لأبي سماعة منزلاً، وآلة، وحرماً، ومتاعاً، يا غلام: ادفع له عشرة آلاف درهم، وتختاً فيه عشرة أثواب، فدفع إليه.

فلما خرج تلقاه أصحابه، يهنئونه، ويسألونه عن أمره، فقال: ما عساي أن أقول إلّا أنه ابن زانية أبى إلّا كرماً.

فبلغت يحيى كلمته من ساعته، فأمر به، فحضر، فقال له: أبا

(١) يحيى بن خالد بن برمك (ت ١٩٠/٨٠٥): ولد سنة ١٢٠/٧٣٨ مؤدب الرشيد ومربيه، فلما ولي الرشيد الخلافة قلده جميع أموره. ثم اعتقله لما نكب البرامكة ومات في الحبس الزركلي: الأعلام جـ ٩ ص ١٧٥.

سماعة، لم تعرف من هجانا، وألم تعرف من شتمنا؟.

فقال له أبو سماعة: ما عُرّفْتَهَ أيها الوزير، افتراء وكذب عليّ.

فنظر إليه يحيى ملياً، ثم أنشأ يقول:

إذا ما المرءُ لم يخدش بظُفْر ولم يوجد لهُ إنْ عضَّ نابُ
رمى فيهِ الغميزة من بغاها وذلَّت من قرائنهِ الصِعابُ

فقال أبو سماعة: كلاّ أيها الوزير، ولكنّه كما قال:

لم يَبْلُغَ المَجْدَ أَقوامٌ وإن شرفوا حتى يذلُّوا وإن عزُّوا، لأَقْوامِ
ويُشْتَموا فترى الألوان مُسْفرةً لا صَفْحَ ذُلٍ ولكن صَفْح أحلامِ

فتبسم يحيى، وقال: إنّا عذرناك، وعلمنا أنّك لن تدع مساوىء شيمك، ولؤم طبعك، فلا أعدمك الله ما جبلك عليه من مذموم أخلاقك، ثم تمثّل قائلاً:

متى لم تتّسْع أخلاقُ قومٍ تضيق بهم فسيحات البلادِ
إذا ما المرء لم يخلق لبيباً فليس اللُّبُّ عن قَدم الولادِ

ثم قال: هو والله، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: المؤمن لا يشفي غيظه.

ثم إن أبا سماعة، هجا بعد ذلك سليمان بن أبي جعفر[1]، وكان إليه محسناً، فأمر به الرشيد[2]، فحلق رأسه ولحيته.

---

(١) سليمان بن أبي جعفر: هو أبو أيوب سليمان بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد العباسي. ولي إمارة دمشق ثم امارة البصرة. كان جواداً حازماً.
الزركلي: الأعلام جـ٣ ص ١٩٠.

(٢) هارون الرشيد (ت ١٩٣/٨٠٨): بويع بالخلافة سنة ١٧٠/٧٨٦ فدامت ولايته ٢٣ سنة.
ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ ٥ ص ٣٣٩، ٣٤٠.
الزركلي: الأعلام جـ ٩ ص ٤٤.

١٠ ـ الحث على التمسك بالكلب

وروي عن بعضهم أنه قال:

إن ليس في هذا الزمان سوى خنازير، فإن وجدتم كلباً فتمسَّكوا بـه فإِنَّهُ خير من ناس هذا الزمان(١).

(و) قال الشاعر:

اشدد يديك بكلبٍ إن ظَفِرْتَ بِهِ　　فأكثُر الناسِ قد صاروا خنازيرا(٢)

(و) أنشدني أبو العباس الأزدي:

لكَلْبُ النـاس إن فكّـرتَ فيهم　　أضرُّ عليـك من كَلَبِ الكلابِ
لأنَّ الكلبَ تخسـؤُه فيخسـا　　وكلبُ الناسِ يربضُ للعتـابِ
وأنَّ الكلبَ لا يؤذي جليسـاً　　وأنت الدهـر من ذا في عـذابِ

---

(١) ووصل الأمر بالسلطان مسعود أن وجد الكلب خير عنده من أمين الدولة ابن التلميذ الطبيب النصراني الذي قال:

من كان يلبس كلبه　　وشياً ويقنع لي بجلدي
فالكلب خير عنده　　مني وخير منه عندي

ابن الطقطقى: الفخري، ص ٥٦.

(٢) التشبيه بالخنزير، لأنه حيوان سمج، تكرهه العين. وهو نجس ويحرم أكله ويستحب قتله.
وقيل في المثل: أقبح من خنزير. وتدل رؤيته في المنام على الشر والمال الحرام.
القزويني: عجائب المخلوقات ص ٢٣٢، ٢٣٣.
الدُّميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ١ ص ٣٨٥ ـ ٣٩٠. وذكر الجاحظ معلومات كثيرة عنه في جميع أجزاء كتابه الحيوان.

١١ ـ الترحيب بصاحبه

وخبّرني صديقٌ لي قال[1]:

كان عندنا جروُ كلب، وكان لي خادمٌ لهجٌ بتقريبه، مولعٌ بالإحسان إليه، كثير المعاينة له، فغاب عن البصرة أشهراً. فقلت لبعض مَنْ عندي: أتظنون أن الكلب يُثبت اليوم صورة الخادم، وقد فارقه وهو جرو، وصار كلباً يشغر ببوله؟

قالوا: ما نشك أنه قد نسي صورتَه وجميعَ برِّه كان به.

وقال: فبينما أنا جالسٌ في الدار إذ سمعت من قبل بابِ الدار نُباحه، فلم أرَ شكل نباحه من التأنب والتوعد، ورأيت فيه بصبصة السُّرور، وحنين الإلف.

ثم لم ألبث أن رأيت الخادمَ طالعاً علينا، وإنَّ الكلبَ ليلتفُّ على ساقيه، ويرتفع إلى فخذيه، وينظر في وجهه، ويصيح صياحاً يستبين فيه الفرحُ. ولقد بلغ من إفراط سروره أنّي ظننت أنّه عُرِض[2].

---

(١) هذه القصة ذكرها الجاحظ في الحيوان جـ ٢ ص ١٢٨، ١٢٩.

(٢) عُرِضَ: أي أصابه الجنون. والجنون وذهاب العقل يصيب كل الحيوانات ومنها ما يصرع المجنون. والصَّرع عام في الحيوان. والكلب يصاب به وخاصة متى أبصر غيماً حيث يأخذ بالنباح لأنه يعرف أن الغيم يجر وراءه الأمطار التي تؤذيه.
الجاحظ: الحيوان جـ ٢ ص ٧٣، ٧٤، ٢٢٤.
القزويني: عجائب المخلوقات ص ٢٣٧.

ثم كـان بعد ذلـك يغيب الشهرين والثـلاثة، أو يمضي إلى بغـداد ثم يـرجع إلى العسكـر[1] بعد أيـام، فأعـرف بذلـك الضَّرْب من البصبصـة، وبذلك النوع من النُّباح، أنَّ الخـادمَ قدِم. حتى قلت لبعض من عنـدي: ينبغي أن يكون فلان قد قدم، وهو داخل عليكم مع الكلب.

(١) عسكر المهدي: ويعرف بالرصافة. وقد سمي بـذلك لأن المهـدي (ت ١٦٩/ ٧٨٥) عسكر به حين شخص إلى الري.

١٢ ـ الترحيب بالضيف

حدَّثنا أحمد بن منصور عن أبيه عن الأصمعي[١] قال:

حضرت بعض الأعراب الوفاة وكلبٌ في جانب خيمتهِ فقال لأكبر ولدهِ:

أوصيكَ خيراً بهِ لأنَّ لهُ ... صنائعاً لا أزال أحمدُها
يدلُّ ضيفي عليَّ في غسق الليلِ ... إذا النارُ نام مُوقدها

. . . .

أخبرني أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر[٢] قال: أخبرني بعض الأدباء قال:

كان لإبراهيم بن هرمة كلاب إذا أبصرت الأضياف بشّت بهم ولم

---

(١) الأصمعي (ت ٢١٦/٨٣١): عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد. نسبته إلى جده أصمع. ولد في البصرة سنة ١٢٢/٧٤٠. راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان.
الزركلي: الأعلام جـ ٤ ص ١٦٢.

(٢) أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور الخراساني (ت ٢٨٠/٨٩٣) ولد سنة ٢٠٤/٨١٩، وهو مؤرخ كاتب بليغ، له نحو خمسين كتاباً أشهرها تاريخ بغداد.
المرجع نفسه جـ ١ ص ١٤١.

تنبح وبصبصت بأذنابها بين أيديهم، فقال يمدحها[1]:

ويدلُّ ضيفي في الظلام إذا سرى   ايقـادُ نـاري أو نبـاحُ كـلابي
حتى إذا واجهـتَـهُ وعَـرَفْـنَـهُ   فـدينَـهُ ببصـابص الأذنـابِ
وجعلن مما قـد عـرفنَ يُقِـدْنَـهُ   ويكـدْنَ أن يَنْطِقن بـالترحـابِ

(١) وفي أبيات أخرى في هذا المعنى، يقول إبراهيم بن هرمة:

ومستنبـح تستكشط الـريـح ثـوبـه   ليسقط عنـه وهـو بـالثـوب معصـم
عـوى في سواد الليـل بعـد اعتسـافـه   لـينبـح كـلب أو لـيفـزع نـوّم
فحـاربـه مستسمـع الصـوت للقـرى   لـه مـع اتيـان المهـبّين مـطعـم
يكـاد إذا مـا أبصر الضـيف مقبـلا   يـكـلمـه مـن حـبـه وهـو أعـجـم

وله أيضاً:

ومستنبـح نبهـت كـلبي لصـوتـه   وقـلت لـه قـم في اليـفـاع فجـاوب
فجاء خفي الصـوت قـد مسه الضّـوى   بضربـة مسنـون الغـرارين قـاضـب
فـرحبت واستبشرت حتى بسطتـه   وتـلك الـتي ألـقـى بهـا كـلّ آئـب

الجاحظ: الحيوان جـ ١ ص ٣٦٧، ٣٧٧، ٣٧٨، والبيان والتبيين جـ ٣ ص ٢٠٥.

١٣ ـ منزلته عند الملوك

قال الأصمعي:

وسمعت بعض الملوك[١] وهو يركض خلف كلب وقد دنا من ظبي[٢]

---

(١) كان الخلفاء مغرمين بالصيد والقنص ويغدقون في سبيله الأموال الجليلة. وكان يزيد بن معاوية أشد الناس كلفاً بالصيد والقنص، وكان يلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب والجلال المنسوجة منه ويهب لكل كلب عبداً يخدمه. وكان السلطان مسعود يبالغ أيضاً في ذلك ويلبس الكلاب الجلال الأطلس الموشاة ويسورها بالأساور. ويحكى أن هشام بن عبد الملك (ت ١٢٥/٧٤٣) كان يذهب إلى الصيد، ويصطاد الظبي بواسطة الكلاب. وكان المعتصم العباسي مولعاً بصيد حمر الوحش.
ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية ص ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ١١٣.

(٢) ويقصد بذلك كلب صيد يريد الانقضاض على ظبي (أنثاه ظبية)، ونادراً ما يفلت الظبي من صيد الكلب، رغم الصعوبات التي يلاقيها الكلب حيث يطارده في الجبال الوعرة، وعندما يسقط الظبي لوجهه يعضه الكلب فيستسلم له. وهنا تتجلى خبرة الكلب في الصيد فهو إذا عاين الظباء قريبة كانت أو بعيدة عرف المقبل من المدبر، كما عرف مشي الذكر من مشي الأنثى. وقد وصف أبو نواس صيد الكلب للظبي بقوله:

لا يمهل الظبي على اقداره ... حتى يرى بين شبا أظفاره

وقال أيضاً:

أعددت كلباً للطراد فظا ... إذا غدا من نهم تلظى
يكظ أسراب الظباء كظا ... حتى تراها فرقاً تشظى =

وهو يقول من الفرح: ايه فدتك نفسي.

= وقال:

أكـرم بهـذا الـكـلـب مـن محـتـال أتـيـح حـتـف الـظبـي والأوعـال

الجاحظ: الحيوان جـ ٢ ص ١١٧. الدُّميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ٢ ص ٢٢٧.
ديوان أبي نواس ص ٦٣٨، ٦٤١، ٦٤٦.

١٤ ـ كل خير عندهم من عند الكلب

قال أبو نواس:

مفدياتٌ ومحمّياتها مسمّيات ومعلّماتها(١)

وله أيضاً(٢):

أنعَتُ كلباً أهله في كدّه قد سعدت جدودهم بجدّهِ
وكل خير عندهم من عندهِ يظلُّ مولاهُ لهُ كعبدهِ

---

(١) هذا البيت توزع على بيتين ضمن وصف الكلاب أثناء الصيد، ومنها:

قد اغتدى والطير في مثواتها لم تعرب الأفواه عن لغاتها
بأكلب تمرح في قدّاتها تعدّ عين الوحش من أقواتها
مسمّيات وملقباتها حمرا وبيضا ومطوّقاتها
ترى على أفخاذها سماتها مفدياتٌ ومحمّياتها

ديوان أبي نواس: ص ٢٢٨، ٢٢٩.
الجاحظ: الحيوان جـ ٢ ص ٣٦ ـ ٣٩.

(٢) هذه الأبيات في نعت كلب بالغ الشاعر في مدحه فوصفه بأنه مصدر للرزق والحظ. وفي الديوان يختتم الأبيات بالقول:

يشرب كأساً شدّها في شدّه يا لك من كلب نسيج وحده

ديوان أبي نواس: ص ٦٢٤.
الجاحظ: الحيوان جـ ٢ ص ٣٥، ٣٦.
الدميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ٢ ص ٢٣٥.

يبيت أدنى صاحب من مهَدهِ   وإن غدا جَلَّله ببُرْدِهِ
ذا غُرَّةٍ مُحَجَّلاً بزنْدهِ   يَلَذُّ منهُ العينَ حُسْنُ قدِّهِ
يا حُسْنَ شدقَيْهِ وطول خدِّهِ   يَلْقَى الظباءُ عَنَتاً من طردهِ
يا لك من كلبٍ نسيج وحدهِ[1]

وقال أيضاً[2]:

أنعت كلباً لقن النحاس   محسور أقطار شؤون الراس
نعم الخليل، والأخ المواسي   من غير ما بيع ولا مكاس
كم تيس رمل لاح في الكناس   عفّره بجانبي أوطاس[3]
لم يعط إلا مثله النواسي!

وله في هذا المعنى أشياء حسان ومعانٍ مختارة[4].

---

(١) وعلى هذا المنوال كان مزرّد بن ضرار قد نعت ستة كلاب سلوقية كانت مصدر رزق صاحبها الذي ساءت حاله بعد موتها. فقال:

سخام، ومقلاء القنيص، وسلهب   وجدلاء، والسرحان، والمتناول
بنات سلوقيين كانا حياته   فماتا فأودى شخصه فهو خامل

وكذلك كان لأبي زبيد الطائي كلباً اسمه أكدر، قال فيه:

أخال أكدر مختالاً كعادته   حتى إذ كان بين الحوض والعطن

الجاحظ: الحيوان جـ ٢ ص ١٨، ٢٧٤، ٢٧٦.

(٢) هذه الأبيات في نعت كلب مدحه أبو نواس ووصفه بالخليل والأخ المواسي. وقد وردت في ديوان أبي نواس ص ٦٤٢.

(٣) أوطاس: وهو واد بديار هوازن.

(٤) كان أبو نواس (ت ١٩٨/٨١٤) على معرفة تامة بالكلاب، فقد لعب بها فترة طويلة، وعرف منها مالا تعرفه الأعراب. وفي ديوانه الكثير من الطرديات تتعلق بالكلاب رغم أن الرواة أخبروا أنه نظم في ذلك تسعاً وعشرين أرجوزة وأربع قصائد وما زاد فهو منحول إليه لشهرته الواسعة في هذا الباب وقدرته البارعة على وصف الكلاب وصفاتها وأسمائها وسماتها وأنسابها والقابها.

ديوان أبي نواس: ص ٦٢٤ ـ ٦٤٦.

الجاحظ: الحيوان جـ ٢ ص ٢٣، ٢٤، ٢٧ ـ ٣٠، ٣٣ ـ ٤٥.

١٥ ـ ذكره في القرآن الكريم والحديث الشريف والأسماء[١]

ومّما يدل على قدر الكلب كثرة ما يجري على ألسنة الناس بالخير والشر والحمد والذم حتى ذكر في القرآن[٢] وفي الحديث[٣] وفي الأشعار والأمثال[٤] حتى استعمل على طريق الفأل والطيرة[٥] والاشتقاقات للأسماء. فمن ذلك

---

(١) ورد هذا الكلام بلسان صاحب الكلب وذلك في كتاب الحيوان جـ ٢ ص ٨٦.

(٢) ورد ذكر الكلب في القرآن الكريم خمس مرات. منها أربع مرات في سورة الكهف آية ١٨، ٢٢ ومرة واحدة في سورة الاعراف آية ١٧٦. كما وردت «مكلبين» في سورة المائدة آية ٤.

(٣) كثر ذكر الكلب في الحديث الشريف، ومنه ما يدعو إلى قتله أو عدم اتخاذه، ومنه ما يشير إلى عقوبة اتخاذه، ومنه أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب. وهنا دخلت المذاهب الاسلامية في تحديد موقفها من نجاسة الكلب وبيعه وأكل لحم الصيد به... كما دخل في هذا الكلام الكثير من الفقهاء والعلماء وأصحاب الرأي

(٤) ذكر الميداني (ت ٥١٨/١١٢٤) في مجمع الأمثال حوالي ٧٢ مثلاً قيلت في الكلب من أصل حوالي ١١٠٠ مثل تتعلق بالحيوان. والجاحظ في «الحيوان» أورد حوالي ٥٤ مثلاً وتوزعت على الأجزاء ١، ٢، ٣، ٥. وفي «الأمثال الشعبية الحلبية وأمثال ماردين» ليوسف قوشاقجي، ورد حوالي ٦٠ مثلاً، وهناك أمثال متفرقة في الكلب منها ستة أمثال في «تمثال الأمثال» للشيبي (ت ٨٣٧/١٤٣٣) وأربعة أمثال في «كتاب الفاخر» للمفضل بن سلمة (ت ٢٩٠/٩٠٣)....

(٥) وقيل أيضاً إن المسيح بن مريم عليه السلام، مرَّ في الحواريِّين بجيفة كلب، فقال بعضهم! ما أشد نتن ريحه! قال: فهلاَّ قلتَ: ما أشدَّ بياضَ أسنانه!!.
الجاحظ: الحيوان جـ ٢ ص ١٦٣.

كلب بن ربيعة وكلاب بن ربيعة[1] ومكلب بن ربيعة[2] ومكالب بن ربيعة بن نزار وكليب بن يربوع[3] ومثل هذا كثير.

---

(1) كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من قيس عيلان، من عدنان. جد جاهلي. كانت منازل بنيه قرب المدينة وانتقل بعضهم إلى الشام.
الجاحظ: الحيوان جـ١ ص ٢٥٨، ٢٥٩، ٣١٣، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٦٤ وجـ٢ ص ١٨٤، ١٨٥
ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ٣ ص ٣٥٥.
الزركلي: الأعلام جـ٥ ص ٢٢٩، ٢٣٠.

(2) الجاحظ: الحيوان جـ١ ص ٣١٣ وجـ٢ ص ١٨٤.

(3) كليب بن يربوع بن حنظلة، من تميم. جد جاهلي من نسله جرير الشاعر.
الجاحظ: الحيوان جـ١ ص ٣١٣.
الزركلي: الأعلام جـ٥ ص ٢٣٢.

١٦ ـ اتخاذ النساك للكلاب[١]

والكلب أيَّدك الله منافعه كثيرة فاضلة على مضاره بل هي غامرة لها وغالبة عليها. ولم تزل القضاة والفقهاء والعبَّاد والولاة والنساك[٢] الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لا ينكرون اتخاذها. وهم على ذلك يشاهدونها في دور الملوك[٣]، فلو علموا أن ذلك نكرة لتكلموا ونهوا عن

(١) هذا الكلام الذي ذكره ابن المرزبان في اتخاذ النساك للكلاب اقتطعه بتصرف عن كتاب الحيوان للجاحظ جـ١ ص٢٩٨ حيث جاء:
والكلب منافعه فاضلة على مضارِّه، بل هي غالبة عليها وعامرة لها، وهذه صفة... والقضاة والفقهاء والعباد والولاة والنساك، الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، والمحتسبة... لم يطبقوا على ترك النكير... إلا وقد علموا أنه قد كان لقتل الكلاب بأعيانها في ذلك الدهر معنى...

(٢) جمع بعض النساك والزهاد الخصال الحسنة في الكلب وتمنوا لو كانت في بني آدم لبلغ أعلى الدرجات. ويحكى عن صوفي ايراني يدعى أبا سعيد (ت ٤٤٠/١٠٤٩) اهتم بكلب جربان وعلم بالرؤيا أن الله راض عنه لاهتمامه بهذا الكلب الجربان أكثر مما هو راضٍ عنه لتقشفه وتصوفه. وتحكى نفس الحكاية عن معروف الكرخي (ت ٢٠٠/٨١٥) وهو أحد اعلام الزهاد والمتصوفين.
القليوبي: حكايات وغرايب ص ٢٢١.
محمد بن المنور: أسرار التوحيد في مقامة الشيخ أبي سعيد.

(٣) كانت الكلاب تشاهد في قصور الخلفاء، ذلك انها كانت تستخدم في اللعب واللهو بها، حيث تقام لها الألعاب وحفلات الهراش التي يخصص لها الأموال. وقد أذن هارون الرشيد لابن جامع المغني بمهارشة الكلاب والديوك. وكان المأمون يخرج أحياناً إلى فناء القصر فلا يشعر به أعضاء حاشيته وهم يراقبون هذه الألعاب. وخصص المتوكل ٥٠٠ ألف درهم لتنظيم حفلات الهراش إضافة إلى الأموال التي كانت تنفق على شراء الحيوانات واطعامها =

اتخـاذها بـل عندهم إذا قتلوا الكلب كـان له عقـوبة[1]، وأن من كـان أمر بقتلها في قديم الدهر إنما كان لمعنىً ولعلَّةٍ[2]، وأن هذه الكلاب بمعزلٍ عن تلك.

= بعد أن توضع في حديقة القصر. وقد أدت هـذه الحفلات، التي يتخللهـا القمار والـرهان، إلى نشـوب خلاف بـين اعضاء الحـاشية مما حدا بـالمهتدي بـالله (ت ٢٥٦/٨٧٠) لاعطاء أوامره بقتل جميع الحيوانات الموجودة في حديقة القصر. وبعد مقتل المهتدي عادت الألعاب إلى سيرتها السابقة. وقد تقبل المكتفي عشرة كلاب كبار كهدية من الملكة الفرنجيـة «برتـا» سنة ٢٩٣/٩٠٦.

الأصفهاني: الأغاني جـ ٦ ص ٢٨٧. ارطا ميدروس: تعبير الرؤيا، ص ٢١٥، ٢١٧.

ابن زبـير: الـذخـائـر والتحف ص ٢٢٠. عصـام شبـارو: أسرار الكـلاب، ص ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٨٣ - ١٨٧.

M. Ahsan: Social life under the Abbasids, P 261.

Journal of the Pakistan Hisotrical Society P 272 - 300.

(١) ثبت عن النبي ﷺ انه قال: خمس فواسق يقتلن في الحل والحـرم: الغراب والحـدأة والفأرة والعقـرب والكلب العقور. وعـلى هذا الأسـاس لا يجوز قتـل كلب الصيد وكلب الـراعي وكلب الـزرع... ويتوجب عـلى القاتـل دفع ديـة إلى صاحب الكلب تبلغ أربعـين درهماً لكلب الصيد وشاة من الغنم لكلب الراعي وفرق من الزرع لكلب الزرع.

السيوطي: سنن النسائي جـ ٥ ص ١٨٨، ١٩٠. ابن دقيق العيد: أحكام الأحكام جـ ٣ ص ٣٢. الصنعاني: المصنف جـ ١٠ ص ٧٥.

السيد سابق: فقه السنة جـ ١ ص ٦٧١ - ٦٧٢.

(٢) يقصد أن النبي ﷺ، عندما أمر بقتل الكلاب في مدينة يثرب (المدينـة المنورة) كـان يهدف إلى القضاء على داء الكلب الذي انتشر وقتها وعنـدما زال خـطر هذا الـداء عدل عن قتـل الكلاب، مما يعني أن أمر النبي كان وقتياً ولدوافع يزول الأمر فيهـا إذا ما زالت. وعنـدما انتشر الـداء زمن أبي بكر الصـديق وعمر بن الخـطاب رضي الله عنهما نشـأت الدوافع من جديد، فكان قتل الكلاب أيضاً، ثم زالت الدوافع فتوقف القتل.

الجـاحظ: الحيـوان جـ ١ ص ٢٦٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٦ وجـ ٢ ص ٧٩.

ابن قتيبة: عيون الأخبار جـ ٢ ص ٨١.

الدميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ١ ص ٢٩٢، ٥٦٢ وجـ ٢ ص ٩٨.

صحيح مسلم جـ ٥ ص ٣٥، ٣٦.

عصام شبارو: أسرار الكلاب، ص ٧٩ - ٨٥.

١٧ ـ تخيُّره أرفع المواضع في المجلس

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من لا يعرف الأمور يقول إن الكلب من السباع[١]. ولو كان ذلك ما آلف الناس واستوحش من السبع[٢] وكره الغياض وآلف المجالس والدور واستوحش من البراري وجانب القفار.

وكيف يكون ذلك وهو لا يرضى بالنوم والربُّوض على الأرض وهو لا يرى بساطاً ولا يرى وساداً إلّا علاهما وجلس عليهما أيضاً. ولا تراه وهو يجد كل موضع جليل نظيف ويجد سبيلاً إليه فيقصِّر عنهُ. وتراه يتخيَّر أبداً أرفع المواضع في المجلس وما يصونُه صاحبهُ[٣].

---

(١) السِّباع: مفردها السبع. الحيوان المفترس ويشمل الأسد والفهد والنمر والدب والذئب والضبع... قيل سمي سبعاً لأنه يمكث في بطن أمه سبعة أشهر ولا تلد الأنثى أكثر من سبعة أولاد. وتمتاز بالعدو الشديد والقوة والأنياب والبراثن وسعة الفم.
القزويني: عجائب المخلوقات، ص ٢٢٨ ـ ٢٤٢.
الدَّميري: حياة الحيوان الكبرى جـ١ ص ٤٨٧ ـ ٤٩٢.

(٢) قيل إن الكلب من أسماء الأسد، لقرابه ما بينه وبين الكلب. والواقع أن الأسد من السباع، والكلب لا سبع تام ولا بهيمة تامة، أي فيه بعض صفات من البهائم والسباع. فلو تم له طباع السباع ما ألف الناس، ولو تم له طباع البهائم ما أكل لحم الحيوان.
الجاحظ: الحيوان جـ٢ ص ٥٦.

(٣) هذا المقطع ورد في كتاب الحيوان جـ٢ ص ١٦١.

١٨ ـ حبه لصاحبه وصبيانه

(قال) والكلب يعرف صاحبه، وهو والسنّور[١] يعرفان أسماءهما ويعرفان منازلهما ويألفان مواطنهما إذا طردا رجعا وإن أجيعا صبرا وإن أهينا احتملا[٢].

وللكلب أيضاً من الفضائل إثباتهُ وجه صاحبهِ[٣] ونظرهُ في عينيهِ وفي وجهه وحبُّهُ له ودنوُّهُ منهُ حتى ربما لاعبهُ ولاعب صبيانهُ بالعضّ[٤] الذي لا

---

(١) السنّور: جمعه السنانير وأنثاه السنورة. وهو القط والهر. وإذا ألف السنور منزلاً منع غيره من السنانير الدخول إلى ذلك المنزل وحاربه أشد محاربة. وإذا طُرد من المنزل تملق وتمسح حتى يحصل على العفو والاحسان.
القزويني: عجائب المخلوقات، ص ٢٣٥.
الدميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ١ ص ٥١٦ ـ ٥٢٠ وجـ ٢ ص ١٩٠، ١٩١، ٣٥٧ ـ ٣٦٤.
وأخباره كثيرة في مختلف أجزاء كتاب الحيوان للجاحظ.

(٢) وردت هذه الفقرة في كتاب الحيوان للجاحظ جـ ١ ص ١٩٦.

(٣) الكلب يعرف وجه صاحبه، ووجه الزائر. حتى ربما غاب صاحب الدار حولاً كاملاً، فإذا أبصره قادماً اعتراه من الفرح والعواء ما يدل على السرور والحنين.
المصدر نفسه، جـ ٢ ص ١٢٨

(٤) الكلب لا يعض أحداً إلا من تهييج شديد، وما يفعله دائماً هو النباح والوعيد، ولا تراه يلاعب كلباً ما دام إنسانٌ يلاعبه.
المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٢٧، ١٧٨.

يؤلم ولا يؤثر وله تلك الأنياب التي لو أنشبها في الشجرة لَأبرت[1].

---

(١) ورد هذا المقطع في كتاب الحيوان للجاحظ جـ ٢ ص ١٩٣، كما يلي:
وللكلب إثباتُه وجه صاحبه، ونظُره في عينيه وفي وجهه، وحبُّه له، ودُنُوه منه، حتى ربما لاعبَه ولاعب صبيانَه بالعضّ الذي لا يؤثِّر ولا يُوجع، وهي الأضراسُ التي لو نشَّبها في الصخر لَنشِبت، والأنيابُ التي لو أنحى بها على الحصى لرضَّها....

١٩ - يرزق الكلب ولا يرزق أبا أسيد

وأنشد منشد:

وإذا قلتُ ويـك للكلب إخْسـا　　لحـظتني عينـاك لحـظَةَ تُهْمَـهْ
أتُـرى اني حـسبُـتـك كـلبـاً　　أنت عنـدي من أبعد النـاس هِمَّهْ

وذكر أبن أبي الدنيا عن سعيد بن عبد العزيز[1]، أنه قـال[2]: قيل لأبي أسيد الغزاري: من أين تعيش؟

فحمد الله تعـالى وقـال: يـرزق الله الكلب والخنـزير ولا يـرزق أبـا أسيد[3].

---

(١) سعيـد بن عبد العـزيز (ت ١٦٧/٧٨٣): أبـو محمد التنـوخي ولد سنـة ٩٠/٧٠٩. كـان حافظاً حجة، فقيه دمشق في عصره.
الزركلي: الأعلام جـ٣ ص ٩٧.

(٢) ذكرها الدَّميري في حياة الحيوان الكبرى جـ ١ ص ٣٨٧.

(٣) ويشبه ذلك قول دعبل بن علي:

ولـو يـرزق الـنـاس عـن حـيـلة　　لما نـال كـفّـا مـن الـتّربـة
ولـكـنـه رزق مـن رزقـه　　يـعـمّ بـه الـكـلـب والـكـلبـة

الجاحظ: الحيوان جـ ١ ص ٢٦٧.

٢٠ ـ ليت الكلاب لنا مجاورة

أنشد الربيع عن الشافعي[1]:

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة — وليتنا لا نرى مّما نرى أحدا
إن الكلاب لتهدا في مرابضها — والناس ليس بهاد شرّهم أبداً
فابدأ بنفسك واستأنس بوحشتها — إن السعيد الذي قد عاش منفرداً[2]

---

(١) يقصد الإمام الشافعي (ت ٢٠٤/٨٢٠) وهو أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. وقد ولد في غزة سنة ٧٦٧/١٥٠ وتوفي بمصر. وقد قال الشعر أيضاً ومنه هذه الأبيات التي تفضل مجاورة الكلاب على الناس الذين يتهادون بالشر. وذكر الشافعي، أبياتاً أخرى تتعلق بالصفات الحسنة عند الكلاب، وهو يحث على محاسن الأعمال والاعراض عن الجاهل، كما يشير إلى عدم الضرر من ولوغ الكلاب في الأنهر والينابيع. ومنها قوله:

سأترك حبكم من غير بغض — ولا أرضى مقارنة السفيه
وتحترم الأسود ورود ماء — إذا كان الكلاب ولغن فيه

محمود هيبة: ديوان الإمام الشافعي ص ٩، ١٠، ١٥، ٤٣.
محمد الزعبي: ديوان الإمام الشافعي ص ١٩، ٢٢، ٣٣، ٩٠.

(٢) وردت هذه الأبيات الثلاثة في:
الأصبهاني: حلية الأولياء جـ ٩ ص ١٤٩.
الدّميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ٢ ص ٢٣٠.

٢١ - فيه خمس من شريف الخصال

قال بعض الشعراء:

أيّها الشانىء الكلاب أصخ لي ... منك سمعاً ولا تكونَنَّ حبْسا
إنّ في الكلب فاعلمنّ خصالاً ... من شريف الخصال يُعْدَدنَ خمْسا
حفظُ من كان محسناً ووفاءٌ ... للذي تتّخذهُ حرباً وحَرْسا
واتّباعٌ لرحلهِ وإذا ما ... صار نُطْق الشّجاع للخوف همسا
فهو عونٌ لنابحٍ من بعيدٍ ... مستجيرٍ بقُربهِ حين أمسى

قال أبو بكر:

إنّ الرجل في البادية إذا ضلَّ الطريقَ وهالهُ الليل نبحَ نُباح الكلاب لتنبح كلاب الحي، فيتبع أصواتها حتى يصير إلى الحي[1].

---

(١) هذا القول يشرح ما ورد في بعض هذه الأبيات التي ورد ذكرها مثل «فهو عونٌ لنابح من بعيد» و «ويناديه محسناً من بعيد». . . مما يعني أن الرجل إذا كان باغياً أو زائراً، أو ممن يلتمس القرى، ولم ير بالليل ناراً، عوى ونبح لتجيبه الكلاب، فيهتدي بذلك إلى موضع الناس بواسطة نباح الكلاب التي لا تلبث وأن ترحب به إن كان ضيفاً.
وقد ذكر الجاحظ في الحيوان أقوال بعض الشعراء في ذلك. فذكر قول لبيد بن ربيعة (ت ٤١ / ٦٦١):

فبتنا حيث أمسينا قريباً ... على جسداء تنبحنا الكليب

وقول حميد الأرقط:

وعاو عوى الليل مستحلس الندى ... وقد زحفت للغور تالية النجم=

وقال آخر:

إنّ قــومــاً رأوك شبهــاً لـكلبٍ ... لا رَأَوا للظلام صبحــاً مضيًّــا
أنــت لا تحـفظ الــذمــام لخـلقٍ ... وهــو يـرعى الـذمـام رعيـاً وفيًّا
يشكـر النَزْر من كــريم فعـالٍ ... آخــرَ الــدهــر لا تـراه نسيًّــا
ويــناديــهِ محسنـاً من بـعيــدٍ ... ويــرى منـه طـائعـاً مستحيًّـا
إنّ سـؤالي وبـغـيـتي ومــنــائي ... أن أراكَ الغــدلة كلبـاً ســويـاً

= وقول، عمرو بن الأهتم (ت ٥٧/٦٧٧):

ومـسـتـنـبـح بـعـد الهـدّو دعـوتـه ... وقـد حـان من سـارى الشتـاء طـروق

وقول أرطأة بن سهية (ت ٦٥/٦٨٥):

دعـا فـأجـابـتـه كـلاب كـثـيرة ... عـلى ثـقـة مـني بمـا أنـا فـاعـل
ومـا دون ضـيـفـي، مـن تـلاد تحـوزه ... يـد الضيف، إلا أن تصـان الحـلائـل

الجاحظ: الحيوان جـ١ ص ٣٦٧، ٣٧٩ وجـ٢ ص ٩ وجـ٥ ص ٧٨.

٢٢ ـ كلب ينقذ صاحبه من بئر دفن فيه حياً[1]

أنشد أبو عبيدة[2] لبعض الشعراء[3]:

يُعــرّج عنــهُ جــارهُ وشـقيـقـهُ   وينبشُ عنـهُ كلبُه وهـو ضـارِبـهْ

قال أبو عبيدة[4]:

قيـل هذا الشعـر في رجل من أهـل البصرة خرج إلى الجبّــان[5] ينظر

(١) وردت هذه القصة في كتاب الحيوان للجاحظ جـ ٢ ص ١٢٢، ١٢٣.
وفي نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة للتنوخي جـ ٧ ص ٢٢٢، ٢٢٣.

(٢) أبـو عبيدة معمـر بن المثنى (ت ٨٢٤/٢٠٩): ولد وتـوفي بالبصرة. من أئمـة العلم بـالأدب واللغة. أثنى الجاحظ على علمه.
الزركلي: الاعلام جـ ٨ ص ١٩١.

(٣) ورد في الحيـوان جـ ٢ ص١٢٢: أنشـد أبــو الحسن بن خـالــويـه عن أبي عبيــدة لبعض الشعراء. وفي نشوار المحاضرة جـ ٧ ص ٢٢٢، تبدأ القصــة بـ: «أنبأنـا الفقيه أبـو موسى عيسى بن أبي عيسى القابسي، قال: أنبأنا أبو القاسم علي بن المحسن بن علي التنوخي قراءة عليه، قال: حدثنا أبو عمر محمد بن العباس بن محمد بن زكريا بن حيويه، الخزاز، أن أبـا بكر محمد بن خلف بن المرزبان، أخبرهم قال: أنشدني أبو عبيدة، لبعض الشعراء.

(٤) روى ابن قتيبة أيضاً هذه القصة عن أبي عبيـدة، ولكن في تأويـل مختلف الحديث، ولكنهـا تباين ما هنا. فقال: «وقد كان أبـو عبيدة يـذكر أن رجلين سـافرا ومـع أحدهمـا كلب له، فوقع عليهما اللصوص فقاتل أحدهما حتى غلب وأخذ فدفن وترك رأسه بارزاً، وجاءت الغربان وسباع الطير فحامت حوله، تريد أن تنهشه وتقلع عينيـه، ورأى ذلك كلب كـان معه، فلم يزل يَنبش التراب عنه حتى استخرجه، ومن قبل ذلك قد فر صاحبه، وأسلمه».

(٥) الجبّان: الصحراء.
ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ ٢ ص ١٦.

ركابَهُ فتبعه كلب لهُ فضربه وطردهُ وكره أن يتبعهُ فرماه بحجر فأدماهُ، فأبى الكلب إلاَّ أن يتبعهُ. فلما صار إلى الموضع الذي يريد فيه الانتظار، ربضَ الكلب قريباً منه، ووثب به قوم كانت لهم عندهم طائلة[١]، وكان معه جارٌ له وأخ[٢] فهربا عنه، وتركاه وأسلماه. فجُرح جراحات كثيرة ورموا به في بئر غير بعيدة القعر، وحثوا عليه التراب حتى واروهُ ولم يشكوا في قلوبهم أنهُ قد مات والكلبُ مع هذا يهرُّ[٣] عليهم وهم يرجمونه. فلما انصرفوا أتى الكلب إلى رأس البئر، فلم يزل يعوي ويحثو التّراب بمخالبه حتى ظهر رأسه وفيه نفس يتردّد، وقد كان أشرف على التلف[٤] ولم يبق فيه إلا حشاشة.

فبينما هو كذلك إذْ مرَّ أناس فأنكروا مكان الكلب ورأوه كأنه يحفر عن قبر، فنظروا فإذا هم بالرَّجُلِ على تلك الحال، فاستشالوه[٥] فأخرجوه حياً، وحملوه إلى أهله. فزعم أبو عبيدة أن ذلك الموضع يدعى بئر الكلب[٦].

---

(١) وردت هنا بمعنى العداوة. والجاحظ ذكر: «... إذ أتاه أعداءٌ له يطلبونه بطائلة لهم عنده».
الجاحظ: الحيوان جـ٢ ص ١٢٢، ١٢٣.

(٢) في كتاب الحيوان للجاحظ، جـ٢ ص ١٢٣: وأخوه دِنْياً.
ودِنياً بمعنى الأدنى من القرابة. وهذه الكلمة لا تقال إلا في ابن العم، أو العمة، أو ابن الخال، أو الخالة، أو ابن الأخ، أو الأخت.

(٣) الهرير: صوت الكلب دون النباح. فللكلب ضروب من النغم وأشكال من الأصوات، وله نوح وتطريب وهرير وعواء وبصبصة وشيء يصنعه عند الفرح وله صوت يشبه الأنين.
الجاحظ: الحيوان جـ٢ ص ١٩٤.
ويقال للرجل إذا شاخ وساء خلقه: أدبر غريره، وأقبل هريره.

(٤) في كتاب الحيوان للجاحظ، جـ٢ ص ١٢٣: «فتنَفّسَ ورُدّت إليهِ الرُّوح وقد كاد يموت».

(٥) استشالوه: رفعوه.

(٦) بئر الكلب: أورد الجاحظ اسم «بئر الكلب» وذكر أنه «متيامن عن النَّجف». وسمي كذلك بسبب الرجل الذي طمر فيه حتى أنقذه كلبه. =

وهذا الأمر يدل على وفاء طبيعي وإلفٍ غريزي ومحاماةٍ شديدة، وعلى معرفة وصبرٍ، وعلى كرم وشكر، وعلى غناءٍ عجيب ومنفعةٍ تفوق المنافع...

= في حين يذكر ابن شحنة قرية تدعى «جب الكلب» وهي شرقي مدينة حلب فيها «بئر الكلب» وهو ينفع المكلوب من عضة الكَلْب الكَلِبْ.

وكذلك يذكر القزويني ذلك بقوله: بئر الكلب بقرية من قرى أعمال حلب إذا شرب منها من عضه الكلب الكَلِبٌ برأ وأنها مشهورة.

الجاحظ: الحيوان جـ ٢ ص ١٢٣.

ابن شحنة: الدر المنتخب ص ٤٧، ١٢٨، ١٢٩.

القزويني: عجائب المخلوقات ص ١٢٠.

الدّميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ٢ ص ٢٢٦.

٢٣ ـ كلب يكشف عن قاتل وجثة سيِّده

قال القاضي التنوخي[1]: حدثني مبشر الرومي، مولى أبي[2]، حدثني: إنه سمع مولى كان له قبل أبي، يعرف بأبي عثمان، زكريا المدني، ويقال له: ابن فلانة، وكان هو تاجراً جليلاً، عظيماً، كثير المال، مشهوراً بالجلالة، والثقة، والأمانة، يحدث:

إنه كان في جواره ببغداد، رجل من أصحاب العصبيّة يلعب بالكلاب. فأسحر يوماً في حاجة، وتبعه كلب كان يختصه من كلابه، فردّه، فلم يرجع، فتركه.

ومشى، حتى انتهى إلى قوم كانت بينه وبينهم عداوة، فصادفوه بغير

---

(١) أبو علي المحسن بن علي التنوخي (ت ٣٨٤/٩٩٤) وهو الذي أورد هذه القصة في كتابه نشوار المحاضرة جـ١ ص ٣٤٠، ٣٤١.
وهو والد القاضي أبو القاسم علي بن المحسن بن علي (ت ٤٤٧/١٠٥٥) والذي اعتمد عليه في نقل الأخبار التي رواها ابن المرزبان لأبي عمر محمد بن العباس بن حيّويه.

(٢) يقصد والده القاضي أبا القاسم علي بن محمد التنوخي (ت ٣٤٢/٩٥٣):
وقد ولد بأنطاكية سنة ٢٧٨/٨٩٠، ثم قصد بغداد. وتقلد القضاء في الأهواز والكوفة وواسط والكرخ . . . كان يحب الشعر.
ياقوت الحموي: معجم الأدباء جـ٥ ص ٣٣٢.
الثعالبي: يتيمة الدهر جـ٢ ص ٣٣٦.
الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ١٢ ص ٧٧.
وله أخبار في كتابي ابنه المحسن: نشوار المحاضرة، والفرج بعد الشدة.
عصام شبارو: القضاء والقضاة ص ٢٨٥ ـ ٢٩٤.

حديد[1]، فقبضوا عليه، والكلب يراهم، فأدخلوه، فدخل معهم، فقتلوه ودفنوه في بئر الدار، وضربوا الكلب، فسعى وخرج وقد لحقته جراحة، فجاء إلى بيت صاحبه يعوي، فلم يعبأوا به.

وافتقدت أمّ الرجل، ابنها، يومه وليلته، فتبينت الجراحة بالكلب، وأنها من فعل من قتل ابنها، وأنه قد تلف، فأقامت عليه المأتم، وطردت الكلاب عن بابها.

فلزم ذلك الكلب الباب، ولم ينطرد، فكانوا يتفقدونه في بعض الأوقات.

فاجتاز يوماً، بعض قتلة صاحبه بالباب، وهو رابض فعرفه الكلب، فخمش ساقه، ونهشه، وعلق به. واجتهد المجتازون في تخليصه منه، فلم يمكنهم. وارتفعت ضجّة، وجاء حارس الدرب، فقال لم يتعلّق هذا الكلب بالرجل، إلاّ وله معه قصة، ولعلّه هو الذي جرحه.

وخرجت أم القتيل، فحين رأت الرجل، والكلب متعلقاً به، وسمعت كلام الحارس، تأملت الرجل، فذكرت أنه كان أحد من يعادي ابنها ويطلبه، فوقع في نفسها أنّه قاتل ابنها، فتعلقت به، وادعت عليه القتل، وارتفعا إلى صاحب الشرطة، فحبسه بعد أن ضرب، ولم يقرّ، ولزم الكلب باب الحبس.

فلما كان بعد أيام، أطلق الرجل، فحين أُخرجَ من باب الحبس، علق به الكلب، كما فعل أولاً، فعجب الناس من ذلك.

وأسرّ صاحب الشرطة، إلى بعض رجّالته، أن يفرّق بين الكلب والرجل، ويتبع الرجل ويعرف موضعه، ويترصده، ففعل ذلك.

---

(١) الحديد: السلاح.

فما زال الكلب، يسعى خلف الأول، والراجل يتبعه، إلى آن صار في بيته. فكبس صاحب المعونة، الدار، فلم يجد أثراً.

وأقبل الكلب يصيح، ويبحث في موضع البئر التي طرح فيها القتيل.

فقال الشرطي: انبشوا موضع نبش الكلب، فنبش، فوجد الرجل قتيلاً[1].

فأخذ الرجل، وضرب، وأقرّ على نفسه، وعلى جماعة القتل، فقتل هو، وطلب الباقون، فهربوا.

---

(١) وهذا يدل على منفعة الكلب بالنسبة لرجال الشرطة حيث يمكنه معرفة ومطاردة المجرمين واللصوص والمطلوبين من القضاء. وعلى هذا الأساس ما زال الكلب حتى يومنا هذا يستفاد منه في مثل هذه الأمور.

٢٤ ـ كلب خلص الملك من موت محقق[١]

حدّثني عبد الله بن محمد الكاتب، قال: حدّثني أبي، عن محمد بن خلّاد[٢]، قال:

قدم رجل على بعض السلاطين، وكان معه حاكم أرمينية، منصرفاً إلى منزله، فمر في طريقه بمقبرة، فإذا قبر عليه قبّة مبنيَّة، مكتوب عليها: هذا قبر الكلب، فمن أحبّ أن يعلم خبره، فليمض إلى قرية كذا وكذا، فإن فيها من يخبره.

فسأل الرجل عن القرية، فدلّوه عليها، فقصدها، وسأل أهلها، فدلّوه على شيخ، فبعث إليه، وأحضره، وإذا شيخ قد جاوز المائة سنة، فسأله، فقال: نعم، كان في هذه الناحية ملك عظيم الشأن، وكان مستهتراً بالنزهة والصيد والسفر، وكان له كلب قد ربّاه، وسمّاه باسم، وكان لا يفارقه حيث كان، فإذا كان وقت غذائه وعشائه، أطعمه ممّا يأكل.

فخرج يوماً إلى بعض متنزهاته، وقال لبعض غلمانه: قل للطباخ،

---

(١) نقل التنوخي هذه القصة عن ابن المرزبان في كتابه نشوار المحاضرة جـ٧ ص ٢٢٤، ٢٢٥. وكذلك أوردها الدّميري في «حياة الحيوان الكبرى» جـ٢ ص ٢٢٧، ٢٢٨ نقلاً عن التنوخي أو ابن المرزبان.

(٢) أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاد أبو عبد الله الضرير.

يصلح لنا ثريدة لبن، فقد اشتهيتها، فأصلحوها، ومضى إلى متنزهاته.

فوجه الطباخ، فجاء بلبن، وصنع له ثريدة عظيمة، ونسي أن يغطيها بشيء، واشتغل بطبخ شيء آخر.

فخرج من بعض شقوق الحيطان أفعى[1]، فكرع من ذلك اللبن، ومجّ في الثريدة من سمّه، والكلب رابض، يرى ذلك كله، ولو كان له في الأفعى حيلة لمنعها، ولكن لا حيلة للكلب في الأفعى والحيّة، وكان عند الملك جارية خرساء، زمنة[2]، قد رأت ما صنع الأفعى.

ووافى الملك من الصيد في آخر النهار، فقال: يا غلمان، أوّل ما تقدمون إليّ الثريدة.

فلما قدموها بين يديه، أومأت الخرساء إليهم، فلم يفهموا ما تقول، ونبح الكلب وصاح، فلم يلتفتوا إليه، وألحّ في الصياح ليعلمهم مراده فيه.

ثم رمى إليه بما كان يرمي إليه في كل يوم، فلم يقربه، ولجّ في الصياح.

فقال لغلمانه: نحّوه عنّا، فإن له قصّة، ومد يده إلى اللبن.

فلما رآه الكلب، يريد أن يأكل، وثب إلى وسط المائدة، وأدخل فمه في اللبن، وكرع[3] منه، فسقط ميتاً، وتناثر لحمه.

---

(١) الأفعى: جمعه أفاع. وهوالحية الخبيثة السامة. والحية اسم يطلق على الذكر والأنثى ومن أسمائها الأرقم والثعبان والأفعى والأفعوان...
القزويني: عجائب المخلوقات ص ٢٦٤، ٢٦٥.
الدميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ١ ص ٣٤٩ - ٣٦٢.

(٢) الزمانة: العاهة تعدم بعض الأعضاء وتعطلها وتحول بين الزمن وبين السعي لنفسه.

(٣) كرع الماء، بفتح الكاف والراء: مد عنقه، وتناول بفمه من موضعه، وجرع الماء بفتح الجيم والراء: إذا ابتلع الماء بمرة.

وبقي الملك متعجباً منه ومن فعله، فأومأت الخرساء إليهم، فعرفوا مرادها، وما صنع الكلب.

فقال الملك لندمائه وحاشيته: إنّ كلباً قد فداني بنفسه، لحقيق بالمكافأة، وما يحمله ويدفنه غيري، ودفنه بين أبيه وأمه، وبنى عليه قبّة، وكتب عليها ما قرأت، وهذا ما كان من خبره.

٢٥ ـ كلب يحمي قافلة الحج من اللصوص[١]

أخبرني[٢] أبو العلاء بن يوسف القاضي، قال: حدّثني شيخ كان مسناً صدوقاً، أنه حجّ سنة من السنين، قال: وبرزنا أحمالنا إلى الياسرية[٣]، وجلسنا على قراح[٤] نتغدى وكلب رابض بجوارنا، فرمينا إليه من بعض ما نأكل.

ثم ارتحلنا ونزلنا بنهر الملك، فلما قدّمنا السفرة، إذا الكلب بعينه رابض بجوارنا، كاليوم الأول.

فقلت للغلمان: قد تبعنا هذا الكلب، وقد وجب حقّه علينا، فتعهّدوه، ونفض الغلمان السفرة بين يديه، فأكل، ولم يزل تابعاً منا من منزل إلى منزل، على تلك الحال، لا يقدر أحد أن يقرب جمالنا، ولا

---

(١) وردت هذه القصة في نشوار المحاضرة للتنوخي جـ ٦ ص ٢٢٠، ٢٢١.

(٢) رواية أبو موسى القابسي عن القاضي أبي القاسم علي التنوخي.

(٣) الياسرية: قرية كبيرة على ضفة نهر عيسى، بينها وبين بغداد ميلان، وبينها وبين المحول ميل واحد، والمحول بليدة في غربي الكرخ بينها وبين بغداد فرسخ.
ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ ٤ ص ٤٣٢، ١٠٠٢.

(٤) القراح: هو الأرض الظاهرة التي لا شجر فيها. لكن البغداديين يسمون البستان قراحاً. وهناك أماكن في بغداد كانت قديماً بساتين ثم دخلت في عمارة بغداد ويقال لكل منا قراح. منها قراح ظفر، وقراح ابن رزين، وقراح القاضي، وقراح أبي الشحم.
المصدر نفسه جـ ٤ ص ٤٥.

محاملنا، إلاّ صاح ونبح. فكنّا قد أمِنّا من سلاّل الطريق[1].

ووصلنا إلى مكة، وقضينا حجنا وعزمنا على الخروج في عمل إلى اليمن[2]. فكان معنا إلى أرض قبا[3]، ورجعنا إلى مدينة السلام[4] وهو معنا.

---

(١) سلال الطريق: اللصوص يتعقبون القوافل، ويتخطفون من أطرافها، ما يتمكنون من سرقته من مواد غفل عنها أصحابها.

(٢) اليمن: حدود اليمن ما بين عمان إلى نجران ثم تلتوي على بحر العرب إلى عدن، إلى الشحر وقد كانت بلاد اليمن بالنسبة للحجازي، بلاد اليمن والخير والبركة، ولذلك سماها اليمن السعيدة.
ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ ٤ ص١٠٣٤.

(٣) قُباء: قرية بجوار مدينة الرسول، بنى بها المتقدمون في الهجرة من أصحاب رسول الله مسجداً. ولما هاجر الرسول، أقام بقباء يوم الاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، وركب يوم الجمعة يريد المدينة، فجمع في مسجد بني سالم بن عوف من الخزرج، فكانت أول جمعة جمعت في الإسلام.
المصدر نفسة جـ ٤ ص ٣١.

(٤) مدينة السلام: بغداد.

٢٦ ـ كلبة ترضع طفل أصحابها

ذكر أبو عبد الله عن أبي عبيدة النحوي وأبي اليقظان سحيم بن حفص وأبي الحسن علي بن محمَّد المدائني(١) عن محمد بن حفص بن سلمة بن محارب. وقد حدثنا بهذا الحديث أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا(٢) بإسناد ذكره. وهو حديث مشهور:

إنَّ الطاعون الجارف أتى على أهل دار، فلم يشكّ أحدٌ من أهل المحلة أنه لم يبق فيها صغير ولا كبير. وقد كان بقي في الدار صبي، يرضع، يحبو، ولا يقوم. فعمد من بقي من أهل تلك المَحلَّة إلى باب الدار فسدُّوهُ.

فلما كان بعد ذلك بأشهر تحوَّل إليه بعض ورثة القوم، ففتح الباب، فلما أفضى إلى عرصة الدار، إذا هو بصبي يلعبَ مع جُرَيِّ كلبةٍ لأصحاب

---

(١) أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله المدائني (ت ٨٣٩/٢٢٥): راوية، مؤرخ. ولد في البصرة سنة ٧٥٢/١٣٥، سكن المدائن فنسب إليها. ثم انتقل إلى بغداد.
اسماعيل البغدادي: هدية العارفين جـ ١ ص ٦٧١.
الزركلي: الأعلام جـ ٥ ص ١٤٠

(٢) أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان المعروف بابن أبي الدنيا (ت ٨٩٤/٢٨١): ولد سنة ٨٢٣/٢٠٨ في بغداد. وهو حافظ، مؤلف. أدب المعتضد ثم ابنه المكتفي. له ١٦٤ مصنفاً.
ابن النديم: الفهرست ص ٢٣٦، ٢٣٧.
الزركلي: الأعلام جـ ٤ ص ٢٦٠.

الـدار، فلما رآها الصبي حبـا إليهـا فـأمكنتـه من لبنهـا. فعلمـوا أنَّ الصبي بقي في الـدار، وصار منسيـاً. واشتد جـوعه ورأى جـراء الكلبة[1] تـرضع فعطف عليها. فلما سقتهُ مرّةً دامت لهُ، وأدام هو الطلب.

---

(١) أكثر ما تضع الكلبة إثنـا عشر جرواً. وعـادة تضع بـين الخمسة والستـة. والجرو إذا وضـع يكون أعمى لمدة تتراوح بين اثني عشر واثنين وعشرين يوماً ترضـع أثناءهـا الكلبة جـراءها على عدد أيامها التي لا تبصر فيها. والكلبة تصعب أخلاقها إذا كان لها جراء.
الجاحظ: الحيوان جـ ٢ ص ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢١ وجـ ٤ ص ٤١٠ وجـ ٥ ص ٣٤٤.

٢٧ ـ كلب ينقذ صاحبه من الوادي[١]

أخبرني علي بن محمد، قال: حدّثني محمد بن الحسين بن شدّاد[٢]، قال:

ولّاني القاسم، خلافة أحمد بن ميمون بنيسابور، فقصدت عليّ بن أحمد الراسبي إلى دور الراسبي، فنزلت في بعض منازلها، فوجدت في جواره جندياً من أصحابه، يعرف بنسيم، كان برسم تنظيف كلابه.

وإذا كلب له يخرج بخروجه، ويدخل بدخوله، وإذا جلس على بابه قرّبه، وغطاه بدوّاج[٣] كان عليه.

فسألت الراسبي عن محل الغلام، وكيف يقنع الأمير منه، بدخول الكلب عليه، ويرضى منه بذلك، وليس بكلب صيد؟

قال أبو الوليد: سله عن حديثه، فإنّه يخبرك بشأنه.

فأحضرت الغلام، وسألته عن السبب الذي استحقّ به هذه المنزلة منه؟

---

(١) ذكر التنوخي هذه القصة في نشوار المحاضرة جـ ٤ ص ٢٠٦، ٢٠٧.
(٢) رواية أبو موسى القابسي عن أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي.
(٣) الدواج: ضرب من الثياب وهو اللحاف الذي يلبس.
دروزي: معجم الألبسة عند العرب، ص ١٨٦.

فقال: هذا خلّصني ـ بعد الله عزّ وجل ـ من أمر عظيم.

فاستبشعت هذا القول منه، وأنكرته عليه، فقال لي: اسمع حديثه فإنّك تعذرني.

كان يصحبني رجل من أهل البصرة، يقال له: محمد بن بكر، لا يفارقني، يواكلني، ويعاشرني على النبيذ وغيره منذ سنين.

فخرجنا نقاتل أهل الدينور[1]، فلما رجعنا وقربنا من منزلنا، كان في وسطي هميان فيه جملة دنانير، ومعي متاع كثير أخذته من الغنيمة، قد وقف عليه بأسره.

فنزلنا إلى موضع، فأكلنا، وشربنا.

فلما عمل الشراب، عمد إليّ، فشد يديّ إلى رجلي، وأوثقني كتافاً، ورمى بي في واد، وأخذ كل ما معي، وتركني ومضى، وأيست من الحياة.

وقعد هذا الكلب معي، ثم تركني ومضى، فما كان بأسرع من أن وافاني، ومعه رغيف، فطرحه بين يديّ، فأكلته، ولم أزل أحبو إلى موضع فيه ماء، فشربت منه، ولم يزل الكلب معي، باقي ليلي يعوي إلى أن أصبحت، فحملتني عيناي، وفقدت الكلب.

فما كان بأسرع من أن وافاني ومعه رغيف، فأكلت، وفعلت فعلي في اليوم الأوّل.

فلما كان اليوم الثالث غاب عني، فقلت مضى يجيئني بالرغيف، فلم ألبث إلّا أن جاء ومعه الرغيف، فرمى به إليّ، فلم استتمّ أكله، إلا وابني على رأسي يبكي.

---

(١) الدينور: من مدن عراق العجم الذي يدعى الجبل.

فقال: ما تصنع ها هنا، وما هي قصّتك؟ ونزل فحلّ كتافي، وأخرجني.

فقلت له: من أين علمت بمكاني، ومن دلّك عليّ؟

فقال: كان الكلب يأتينا في كل يوم، فنطرح له الرغيف على رسمه، فلا يأكله. وقد كان معك، فأنكرنا رجوعه، ولست أنت معه، فكان يحمل الرغيف بفيه، ولا يذوقه ويخرج يعدو، فأنكرنا أمره، فاتّبعته حتى وقفت عليك.

فهذا ما كان من خبري وخبر الكلب، فهو عندي أعظم مقداراً من الأهل والقرابة.

قال: ورأيت أثر الكتاف في يده، قد أثّر أثراً قبيحاً.

٢٨ ـ كلب يقوم مقام ساعي البريد[1]

حدّثني أبو عبد الله، قال: حدّثني أبو الحسين محمد بن الحسين بن شداد، قال:

قصدت دير مخارق[2] إلى عبد الله بن الطبري النصراني، الذي كان يأتي بالنزل للمعتضد بالله[3]، فسألته إحضار وكيل له، يقال له إبراهيم بن داران، وطالبته بإحضار الأدلاء لمساحة قرية تعرف بباصيرى السفلى.

فقال لي: يا سيدي قد وجهت في ذلك.

فقلت له: أنا على الطريق جالس، وما اجتاز بي أحدٌ.

فقال لي: أما رأيت الكلب الذي كان بين أيدينا؟ قد وجّهَتُ به.

فغلظ عليّ ذلك من قوله، ونلت من عرضه، وأمرت بما أنا أستغفر الله عز وجل منه.

---

(١) وردت هذه القصة في نشوار المحاضرة للتنوخي جـ٧ ص ٩٥.

(٢) دير مخارق أو مخراق: من أعمال خوز ستان.
صفي الدين: مراصد الاطلاع جـ٢ ص ٥٧٥.

(٣) المعتضد بالله، أبو العباس أحمد بن الموفق (ت ٢٨٩/٩٠٢): من دهاة الخلفاء العباسيين. مدة خلافته عشر سنين (٢٧٩ ـ ٢٨٩) حيث أقام العدل وأصلح الحال.
ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ٥ ص ٣٤٨.
ابن الطقطقي: الفخري ص ٢٥٦.
الزركلي: الأعلام جـ١ ص ١٣٦.

فقال: إن لم يحضر القوم الساعة، فأنت من دمي في حلٍّ.

فلما مكث بعد هذا القول إلاّ ساعة، حتى وافى القوم مسرعين، والكلب بين أيديهم.

فسألته: كيف تحمّله الرسالة؟

فقال: أشدّ في عنقه رقعة بما أحتاج إليه، وأطرحهُ على المحجّة، فيقصد القوم، وقد عرفوا الخبر، فيقرأون الرقعة، فيمتثلون ما فيها.

٢٩ ـ لص يتوب على يد كلب

حدّثني لصّ تائب، قال[1]:

دخلت مدينة، فطلبت شيئاً أسرقه، فوقعت عيني على صيرفي موسر، فما زلت أحتال، حتى سرقت كيساً له، وانسللت.

فما جزت غير بعيد، إذ أنا بعجوزٍ معها كلب، قد وقعت في صدري، تبوسني، وتلزمني، وتقول: يا بنيّ، فديتك، والكلب يبصبص، ويلوذ بي، ووقف الناس ينظرون إلينا.

وجعلت المرأة تقول: يا الله انظروا إلى الكلب، قد عرفه، فعجب الناس من ذلك، وتشككت أنا في نفسي، وقلت: لعلها أرضعتني، وأنا لا أعرفها؟

وقالت: معي إلى البيت، أقم عندي اليوم، فلم تفارقني حتى مضيت معها إلى بيتها.

وإذا عندها أحداث يشربون، وبين أيديهم من جميع الفواكه

(١) أورد التنوخي وابن الجوزي هذه القصة ومطلعها:
أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال: أنبأنا الجوهري.
وأخبرني ابن ناصر، قال: أخبرنا عبد المحسن بن محمد، قال: أخبرنا أبو القاسم التنوخي، قال: أخبرنا ابن حيويه، قال: حدّثنا محمد بن خلف قال: حدثني لص تائب، قال:
التنوخي: نشوار المحاضرة جـ٧ ص ٩٠، ٩١.
ابن الجوزي: الأذكياء ص ١٨٨.

والرياحين، فرحّبوا بي، وقرّبوني، وأجلسوني معهم.

ورأيت لهم بزّة حسنة، فوضعت عيني عليها، فجعلت أسقيهم وأرفق بنفسي، إلى أن ناموا، ونام كلّ من في الدار.

فقمت وكوّرت ما عندهم، وذهبت أخرج.

فوثب عليّ الكلب وثبة الأسد، وصاح وجعل يتراجع وينبح، إلى أن انتبه كل نائم، فخجلت، واستحييت.

فلما كان النهار، فعلوا مثل فعلهم بالأمس، وفعلت أنا بهم أيضاً مثل ذلك، وجعلت أوقع الحيلة في أمر الكلب إلى الليل، فما أمكنتني فيه حيلة.

فلما ناموا، رمت الذي رمته، فإذا الكلب قد عارضني بمثل ما عارضني به.

فجعلت أحتال، ثلاث ليال، فلما أيست، طلبت الخلاص منهم بإذنهم، فقلت: أتأذنون لي، فإنّي على وفز[1].

فقالوا: الأمر إلى العجوز.

فاستأذنتها، فقالت: هات الذي أخذته من الصيرفي، وامض حيث شئت، ولا تقم في هذه المدينة، فإنّه لا يتهيأ لأحد فيها معي عمل.

فأخذت الكيس وأخرجتني، ووجدتُ مناي أن أسلم من يدها.

وكان قصاراي أن أطلب منها نفقة، فدفعت إليّ، وخرجت معي، حتى أخرجتني عن المدينة، والكلب معها، حتى جزت حدود المدينة.

ووقفَتْ، ومضيتُ، والكلب يتبعني، حتى بعدت، ثم تراجع ينظر إليّ، ويلتفت، وأنا أنظر إليه، حتى غاب عن عيني.

---

(١) الوفز: العجلة.

٣٠ ـ كلب يحمي صاحبه ممن أراد خنقه[١]

أخبرني[٢] بعض الشيوخ من أهل الجبل[٣]، قال:

كنت أنا مع جماعة خارجين إلى أصبهان[٤]، فلما صرنا إلى بعض الطريق، مررنا بخانٍ قديم خراب، ليس فيه أحد، وإذا صوت كلب ينبح، وإذا حركة شديدة.

فدخلنا بأجمعنا الخان، فإذا نحن برجل من أصحابنا نعرفه، من الفيوج[٥]، كان معه كلب لا يفارقه حيث كان، وإذا بعض المبنّجين[٦] قد وقع عليه، وكان الفيج فطناً، رأى أنّ حيلته ليست تنفذ له عليه، طرح في عنقه وتراً ليخنقه به.

(١) ذكر التنوخي هذه القصة في نشوار المحاضرة جـ ٤ ص ٢٢٨.

(٢) رواية القابسي عن أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي.

(٣) الجبل: اسم شامل لعراق العجم، ومن مدنه همدان والدينور وجرباذقان والري (طهران) وأصبهان وقزوين وما بين ذلك.
ياقوت الحموي: المشترك وضعاً ص ٩٥.

(٤) أصبهان: من مدن عراق العجم. نهرها يسمى زندروذ.
ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ ١ ص ١٩٢.

(٥) الفيج: الساعي على قدميه لنقل الرسائل من بلد إلى بلد.

(٦) البنج: عقار مخدر، والمبنج: الذي يستعمل البنج لتخدير ضحيته، ثم يسرقه أو يقتله، وكان الأطباء العرب يسمون البنج: المرقد، ويسقون منه العليل الذي يقتضي أن تجري له عملية جراحية.
ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٤٢٠.

فلما رأى الكلب ذلك، ثار إلى المبنّج، فخمش وجهه، وعضّ قفـاه، وطرح منه قطعة لحم، فسقط المبنّج مغشياً عليه.

فخلصنـــا من عنق صاحبنـا الوتـر، وكـان قـد أشرف عـلى التلف، وقبضنا على المبنّج، فكتّفناه بوتره، ودفعناه إلى السلطان.

٣١ ـ كلب يهاجم خصم صاحبه[١]

وحدثني إبراهيم بن برقان[٢]، قال:

كان في جوارنا رجل من أهل أصبهان، يعرف بالخصيب، ومعه كلب له، جاء به إلى الجبل، فوقع بينه وبين جاره خصومة، إلى أن تواثبا.

فلما رأى الكلب ذلك، وثب على الرجل الذي واثب صاحبه، فوضع مخالبه[٣] في إحدى عينيه، وعض قفاه، حتى رأيت الرجل قد غشي عليه، ودماؤه تجري على الأرض.

---

(١) ذكر التنوخي هذه القصة في نشوار المحاضرة جـ ٦ ص ٢١٩.

(٢) رواية القابسي عن القاضي أبي القاسم علي التنوخي.

(٣) مخاليب: جمع مخلب، وهو الظفر في السباع. والبغداديون يجمعون مخلب على مخاليب بدلاً من مخالب. ولا يوصف الكلب بطول المخالب مثل الهر وابن آوى. وسلاح الكلب في شدقه. ويخرق الكلب أذنيه بالمخالب فيدميها، وهذه امارة من امارات فراهته ونشاطه وقوته في العدو.
الجاحظ: الحيوان جـ ١ ص ٢٧٨ وجـ ٢ ص ٢٦، ٢٩، ٣١، ٣٣، ٣٦٨ وجـ ٦ ص ٣٧٤.

٣٢ ـ سهرها بالليل خَصْلَةٌ ملوكية[١]

قال بعض من يذمُّ الكلاب: الناس ينامون الليل الذي جعله الله عزَّ وجلَّ تعالى سكناً، ويتصرفون في النهار الذي جعله الله عزَّ وجلَّ مسرحاً، والكلاب على ضد ذلك.

واحتج من يردُّ عليه فقال:

إنَّ سهرها بالليل ونومها بالنهار خصلة ملوكية، ولو كان غير ذلك كان الملوك به أولى. وإنما إنتباهها بالليل لأنَّ فيه ينتشر اللصوص، ويكثر فيه التسلُّق والنقوب والسرق. ثم إذا أفضى إلى منزل قوم من لم يرضَ إلا بالقتل وركوب السوء ونهب المال، فهي تحرس من هذه الحال، وتنبه عليه صاحبهُ.

---

(١) نقل ابن المرزبان ذلك واختار ما يناسبه من كتاب الحيوان جـ ١ ص ٢٨٣، ٣٠٢، ٣٠٣ حيث جاء:

«. . . والناس ينامون بالليل الذي جعله الله تعالى سكناً، وينتشرون بالنهار الذي جعله الله تعالى لحاجات الناس مسرحاً. قال صاحب الكلب: لو شئنا أن نقول: إن سهره بالليل ونومه بالنهار خَصْلَةٌ ملوكية لقلنا. ولو كان خلافُ ذلك ألذّ لكانت الملوك بذلك أولى. . . . متى وجدنا دهراً تكثُر فيه اللصوص ويفشو فيه السُّراق، وتظهر فيه النقوب، ويشيع فيه التسلُّق، ممن إذا أفضى إلى منزل القوم لم يرضَ إلا بالحريبة ليس دونها شيء، أو يأتي على الأنفس. . . فهذا الحال أحق بالحراسة».

٣٣ ـ أحب لحبها سود الكلاب

حدثنا عبد الرحمن بن سليمان، قال: حدثنا القحطبي، قال: أخبرنا بعض الرواة، قال[(١)]:

بينما أنا يوماً على ركيّ[(٢)] قاعد، وذلك في أشد ما يكون من الحر، إذا بجارية سوداء، تحمل جرَّة لها، فلما وصلت إلى الركيّ، وضعت جرتها، ثم تنفست الصعداء، فقالت: أي حر من بعد هذا أضرّ؟ وملأت الجرة، وانصرفت.

فلم ألبث إلا يسيرا، حتى جاء أسود، ومعه جرّة، فوضعها بحيث وضعت السوداء جرَّتها، فمر به كلب أسود، فرمى إليه رغيفاً كان معه، وقال:

أحبّ لحبها السودان حتى   أحبّ لحبها سود الكلاب

---

(١) وهي من رواية أبو عمر محمد بن العباس الخزاز عن القاضي أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي. وقد وردت هذه القصة في نشوار المحاضرة للتنوخي جـ٦ ص ٢٤٠ وفي مصارع العشاق للسراج جـ٢ ص ٣٦. وتبدأ بـ: أخبرنا القاضيان أبو الحسين أحمد بن علي التوزي، وأبو القاسم علي بن المحسن التنوخي، فقالا: حدثنا أبو عمر محمد بن العباس الخزاز، قال: حدثنا محمد بن خلف (أي ابن المرزبان) قال: حدثنا عبد الرحمن بن سليمان. . .

(٢) الركيّ: هو البئر فيه ماء.

٣٤ ـ ما به سلبُ وما فيه سبُّ

أنشدني بعض الأدباء:

تـاه قـلبي وأيـن مني قـلبٌ ... إن ردّ السرور يـا قـومُ صعبُ
شرّدتـهُ خيـانـةٌ من صـديق ... أنـا مستسلم له وهـو حَـرْبُ
مُضمـرٌ للنفـاق والقلبُ لـهُ ... مُبـطن بغضـةٌ وبـاديـهِ حبٌّ
قلت يـومـاً لـه وارمضني منـه ... فـقـال أتى بـه أنـت كـلبٌ[1]
قال للمدح قلت ذا أمر سلبي[2] ... قـال للسلب قلت مـا بـهِ سلبٌ
شيمـةُ الكلب حفـظهُ لـوليّ ... وعن الحيّ في دجى الليـل ذَبٌّ
يحـفظ الجـار لـلحـوار ويمشي ... سـاهـر المقلتـين يحنـوهُ سَغْبُ
يـرقـد النـائمـون أمنـاً ويمسي ... خـائفـاً هُلْكهم يخـاليـه صبٌّ
وتـرى الكلبَ في المهـامه عونـاً ... ويجيبُ الـلهيـف والنـار تَخْبـو
وتـراه ينـابـح القـوم خـوفـاً ... وإلى الصوت في دُجى الليل يصبو
فلماذا بـخستـهُ الحظَّ قـل لي ... ولِمـا شَتْمُـهُ ومـا فيـه سبٌّ

---

(١) اعتبر المسلمون لفظة كلب بمثابة سب وشتيمة وإهانة، سـواء في جوهر الكلمة نفسهـا أو في لفظها في سياق أبيات الشعر المعدة للهجاء، فقد أكثر الشعراء في الاسـلام من الهجاء عن طريق التشبيه بالكلاب إذا ما أرادوا الحط من مكانة أحدهم، وكذلك في الأمثال، للوصـول إلى الذم والسب والشتم. وعلى هذا الأساس أصبح المسلمون إذا أرادوا ذم أحدهم وصفوه بـ : أنت كلب أو ابن كلب، وأنت كلبة أو بنت كلبة. . .

(٢) يقصد ابن المرزبان أن السَّب بـ «أنت كلب» هو أمر سلبي. والكلب ما بـه سلب. فكأنـه يثور على استعمال لفظة كلب في السباب والشتيمة فأورد هذه الأبيـات لأحد الشعـراء ليؤكد صفات الكلب الحسنة وشيمه ويمدحه.

٣٥ - كلب يدعى موق

أنشدني بعض المدنيين يصف كلباً له بالشدَّة، يقال له موق[1]:

ياموقُ لا ذُقتَ بؤس العيش ياموق ... ولا مُنيت بشــربٍ فيــه تــرنيــقُ
ذو هــامـةٍ كــرحى بـذرٍ ململمــةٍ ... ويُـرمى فيـه ولـلأجـواف تخريقُ
صمــاتُــهُ غَضَب ونفحــهُ كلب ... وعنــدهُ سغبٌ مــا فيــه تــرنيقُ
الصقــر بغيتُـهُ والمــوت كــرَّتــهُ ... مجتاز ساحتِـه بـالشر مــرمــوقُ
والسيف والـرمح أدنى منه بـادرةً ... والنبــل أهــون منــه والمــزاريقُ
والـترك والدَّيلم المحـذور شرُّهمـا ... والزنج من بعد والروم البطاريقُ

---

(١) من الكلاب ذوات الأسماء المعروفة والألقاب المشهورة، ولكرامها وجوارحها وكواسبها، وأحرارها وعتاقها أنساب قائمة ودواوين مخلدة، وأعراق محفوظة، ومواليد محصاة.
وكان ابن جامع المغنى (ت ١٩٢/٨٠٨) يحمل دفتراً فيه أسماء الكلاب. مما يعني أن هناك قائمة محدودة من أسماء الكلاب. فقد حدث علي بن عبد العزيز عن ابن خرداذبة قال: أهدى رجل إلى ابن جامع كلباً فقال: ما أسمه؟ فقال: لا أدري. فدعا بدفتر فيه أسماء الكلاب فجعل يدعوه بكل اسم فيه حتى أجابه الكلب.
وذكر أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩/١٠٥٧) أن للكلاب سبعين اسماً.
الجاحظ: الحيوان جـ١ ص ٢٢٢ وجـ٢ ص ١٧.
الأصفهاني: الأغاني جـ٦ ص ٢٧٨.
الدُّميري: حياة الحيوان الكبرى جـ٢ ص ٢٣٤.
ومن أسماء الكلب: أكدر، براقش، ركاح، رقيم، ريان، زارع، زنبور، قطمور، قطفير، كساب، مسهار، موق، نقيا، وازع، واشق....
عصام شبارو: أسرار الكلاب، ص ٣٦٥.

جماعةُ القوم إن مرُّوا بساحتِه	فعنده لاجتماع القوم تفريقُ
أو مرَّ جيش عليهم كلهم بطلٌ	إذا أناخت بهم من خوفهم نوقُ

قلت لصديق لي: تعرف في هذا شيئاً.

قال: نعم. وأنشدني:

قال لي أحمدُ وأحمدُ كهلٌ	ليس في الناس مثله إثنانِ
حسن خُلْقٍ وحسن خَلْق وعلمٍ	بارعٌ زانهُ بنُطق لسانِ
هو في الحفل زينةٌ وجمالٌ	ولدى الشُّرْب زينةُ البستانَ
وإذا المرء ضاق بالهمِّ صدراً	فرَّج الهمّ أحمد المرزبانِ
يا خليلي حفظتَ في الكلب شيئاً	قلت في (..) في عظم شأنِ
قال لي خذ أخي فأَظْهَرَ فضلاً	قد حول في أخي ظريف المعاني
في مديح الكلاب مع ذمّ قومٍ	فأراني (..) قبل العيانِ
قال إني أراه أوفى ذماماً	من كثير بل قلتُ في الاخوانِ
وأمين المغيب يلقى بوجهٍ	ولقومٍ من الورى وجهانِ
شاكرٌ للقليل غير كفور	وكفور الكثير في الخُلاّنِ
حارسٌ للحريم يمنع في الليلَ	عن النوم ساهر الأجفانِ
مثل ليث العرين تلقاه لمّا	حلّ في جوف خيسهِ شبلانِ
عارفٌ بالوجه يغضُّ حياءً	حين يلقاه للفتى عينانِ
صابرٌ نافعٌ حفوظٌ ألوفٌ	دافعٌ مانعٌ بغير امتنانِ
لين الخُلْق مِعْطَفٌ لحميمٍ	وترى نابهُ كحدِّ السنانِ
وأرى الناس غير من أنت فيهم	(...) نوا كالذئاب والثيرانِ

٣٦ ـ كلب الحسن بن مالك يقتل زوجته وخليله

وذكر ابن دأب، قال[١]:

كان للحسن بن مالك الغنوي[٢]، إخوان، وندمان، فأفسد بعضهم محرماً له، وكان لـه على بـاب داره كلب قد ربـاه، فجاء الـرجل يـوماً إلى منزل الحسن، فدخل إلى امرأته.

فقالت له: قد بعد، فهل لك في جلسة يسرّ بعضنا ببعض فيها؟.

فقال: نعم.

فأكلا وشرباً، ووقع عليها.

فلما علاها وثب الكلب عليهما، فقتلهما.

فلما جاء الحسن، ورآهما على تلك الحال، تبيّن ما فعلا فأنشأ يقول:

قد أضحى خليلي بعد صفو مودَّتي　　صريعاً بدار الـذلّ أسلَمهُ الغَـدرُ
يـطا حرمتي بعـد الإخاء وخـانني　　فغـادرهُ كلبي وقـد ضمَّـهُ القَـبرُ

---

(١) ذكر التنوخي هذه القصة في نشوار المحاضرة جـ ٦ ص ٢٤٧.

(٢) الغنوي: نسبة إلى غني بن أعصر، من قيس عيلان.
ابن الأثير: اللباب جـ ٢ ص ١٨١.

٣٧ ـ كلب مالك بن الوليد يقتل زوجته وصديقه

قال الأصمعي[١]: كان لمالك بن الوليد أصدقاء لا يفارقهم، ولا يصبر عنهم.

فأرسل أحدهم إلى زوجته، فأجابته، وجاء ليلة، واستخفى في بعض دور مالك، عند امرأته، ومالك لا يعلم بشيء من ذلك.

فلما أخذا في شأنهما، وثب كلب لمالك عليهما، فقتلهما، ومالك لا يعقل من السكر.

فلما أفاق، وقف عليهما، وأنشأ يقول:

كلُّ كلبٍ حفظتهُ لك أرعى ما بقي-لو بقي ليوم التنادِ[٢]
من خليلٍ يخونُ في النفس والمال وفي العرس بعد صفو الودادِ

---

(١) ذكر التنوخي هذه القصة في نشوار المحاضرة جـ ٦ ص ٢٢٩.

(٢) يوم التناد: يوم القيامة.

٣٨ ـ الحارث بن صعصعة يهجر ندماءه ويتخذ كلبه نديماً

ومّن أفسد الصديق بحرمته، فقام الكلب بنصرته، ما أخبرونا عن أبي الحسن المدائني يرفعه عن عمرو بن شمر، قال(١):

كان للحارث بن صعصعة، ندماء لا يفارقهم، شديد المحبة لهم، فعبث أحدهم بزوجته، فراسلها، وكان للحارث كلب رباه، فخرج الحارث في بعض متنزهاته، ومعه ندماؤه، وتخلف عنه ذلك الرجل، فلما بعد الحارث عن منزله، جاء نديمه إلى زوجته، فأقام عندها يأكل ويشرب، فلما سكرا واضطجعا، ورأى الكلب أنه قد ثار على بطنها، وثب الكلب عليهما فقتلهما.

فلما رجع الحارث إلى منزله، ونظر إليهما عرف القصة، ووقف ندماؤه على ذلك، وأنشأ يقول:

ومـا زال يـرعى ذمّتي ويحـوطني ... ويحفظ عـرسي والخليـلُ يخـونُ
فـواعجبـاً للخـلِّ يهتك حـرمتي ... ويـا عجبـاً للكلب كيف يصـونُ

قال: وهجر من كان يعاشره، واتخذ كلبه نديماً وصاحباً، فتحدث به العرب، وأنشأ يقول:

فللكلب خـيرٌ من خليلٍ يخونني ... وينكـح عرسي بعـد وقت رحيـلي
سأجعل كلبي مـا حييتُ منادمي ... وامـنحـهُ ودِّي وصَـفْـوَ خليـلي

---

(١) ذكر التنوخي هذه القصة في نشوار المحاضرة جـ ٦ ص ٢٤٥. والدميري في حياة الحيوان الكبرى جـ ٢ ص ٢٢٧.

٣٩ ـ كلب صعصعة بن خالد
يقيم حرمة سيِّده

ذكروا أن صعصعة بن خالد، كان له صديق لا يفارقه، فجاء يوماً فرآهُ قتيلاً في دارِه مع امرأته، فأيقن بخيانتها، فقال:

الغدر شيمةُ كل نَذلٍ سفلةٍ ... والكلبُ يحفظُ عهدك الدهَرا
فدع اللئام وكن لكلبك حافظاً ... فلتأمننَّ الغدر والمكرْا

٤٠ ـ كلبان يحميان صاحبهما من الثعبان

وحدّثني بعض أصدقائي، قال[١]:

خرجت ليلة وأنا سكران، فقصدت بعض البساتين، لأمر من الأمور، ومعي كلبان كنت ربيتهما، ومعي عصا، فحملتني عيني، فإذا الكلبان ينبحان ويصيحان، فانتبهت لصياحهما، فلم أرَ شيئاً أُنكره، فضربتهما، وطردتهما، ونمت.

ثم عاودا الصياح والنباح، فأنبهاني، فلم أرَ شيئاً أُنكره أيضاً، فوثبت إليهما وطردتهما.

فما أحسست إلاّ سقطا عليّ يحركاني بأيديهما وأرجلهما، كما يحرك اليقظان النائم، لأمر هائل.

فوثبت، فإذا بأسود سالخ[٢] قد قرب مني، فوثبت إليه فقتلته، وانصرفت إلى منزلي.

فكان الكلبان ـ بعد الله عز وجل ـ سبباً لخلاصي.

---

(١) ذكر التنوخي هذه القصة في نشوار المحاضرة جـ٦ ص ٢١٦.

(٢) أسود سالخ: ويقصد به الثعبان. ويقال سالخ لأنه ينسلخ جلده كل عام.

٤١ ـ فجعت بكلبها مسمار

ويروى[١] أنه كـان لميمونـة[٢] زوج النبي ﷺ ، كلب يقال لـه مسمار، وكانت إذا حجت، خرجت به معها، فليس يطمع أحد بالقرب من رحلها مع مسمار، فإذا رجعت جعلته في بني جديلة، وأنفقت عليه.

فلما مات، قيل لها: مات مسمار.

فبكت، وقالت: فجعت بمسمار.

---

(١) ذكر التنوخي هذه القصة في نشوار المحاضرة جـ ٦ ص ٢١٧.

(٢) ميمـونة (ت ٥١/٦٧١): ميمـونة بنت الحـارث بن حزن الهـلالية، آخـر امـرأة تـزوجهـا النبي ﷺ وآخر من مات من زوجاته. توفيت عن ثمانـين عامـاً. كان اسـمهـا «برة» فسـماها ميمونة.
الزركلي: الأعلام جـ ٧ ص ٣٤٢.

٤٢ - كلب يحمي طفل صاحبه من الأفعى[1]

وحدّثني صديق لي[2]: أنه كان له صديق ماتت امرأتـه، وخلفت صبيّاً وكان له كلب قد رباه.

فترك يوماً ولده في الـدار مع الكلب، وخـرج لبعض الحوائـج، وعاد بعد ساعـة، فرأى الكلب في الـدهليز، وهـو ملوث بالـدم وجهه وبـوزه[3] كله.

فظن الرجل أنه قد قتل ابنه وأكله، فعمد إلى الكلب فقتله، قبـل أن يدخل الدار.

ثم دخل الدار، فوجد الصبيّ نـائماً في مهـده، وإلى جانبـه بقيّة أفعى قد قتله الكلب، وأكل بعضه.

فندم الرجل على قتله أشدّ ندامة، ودفن الكلب.

---

(١) ذكر التنوخي هذه القصة في نشوار المحاضرة جـ ٦ ص ٢٢٨.

(٢) رواية أبو موسى القابسي عن أبي القاسم علي التنوخي.

(٣) البوز: كلمة فارسية وتعني فم الحيوان.
شير: الألفاظ الفارسية المعرّبة ص ٣١.

الخاتمة

وليس في الحيـوان أشدُّ حبـاً لربِّـه، ولا أحسن طاعـةً له منـهُ، وليس شيء آثر عندهُ ممَّن ينظر إليهِ صاحبهُ بوجه طلق.

تمَّ الكتاب ولله المنَّة والحمد لله رب العالمين وصلَّى الله على سيدنامحمَّد وآلهِ وسلَّم تسليماً[1].

---

(١) وفي ختام نسخة المشرق: نجز نسخُهُ رابع عشر ذي القعدة من سنة تسع وأربعـين وستمائـة (١٢٥١). بلغ العراض بالأصل المنتسخ منـهُ كتب الملتجىء إلى حرم الله تعـالى الحسن بن محمَّد بن الحسن الصفَّاني مدَّهُ الله باعانتهِ وأنعم عليـه قضاء لبـانتهِ في ذي الحجَّـة من شهور تسع وأربعين وستمائة حامداً ومصلياً.

المصادر والمراجع

١ ـ ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن عبد الكريم الجزري. (ت ١٢٣٣/٦٣٠).

* الكامل في التاريخ ١٣ جـ .

عن طبعة المستشرق تورنبرغ. دار صادر. بيروت ١٩٦٦.

* اللباب في تهذيب الأنساب.

القاهرة ١٩٣٨/١٣٥٧.

٢ ـ ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ١٢٠١/٥٩٧).

* المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٠ جـ .

حيدر آباد الدكن . دائرة المعارف العثمانية (١٣٥٧ ـ ١٩٣٨/١٣٥٨ ـ ١٩٣٩)

* الأذكياء.

٣ ـ ابن خلكان شمس الدين أبو العباس أحمد (ت ١٢٨٢/٦٨١).

* وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٨ جـ .

تحقيق إحسان عباس. بيروت ١٩٧٠ ـ ١٩٧٢.

٤ ـ ابن دقيق العيد أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري (ت ٧٠٢/١٣٠٢).

* أحكام الأحكام ٤ جـ .

دار الكتب العلمية ـ بيروت. عن طبعة مصر ١٣٤٤/١٩٢٥.

٥ ـ ابن شحنة أبو الفضل محمد بن محمد بن محمود الحلبي الحنفي (ت ٨٩٠/١٤٨٥).

* الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب.

تعليق يوسف سركيس. بيروت ١٩٠٩.

٦ ـ ابن عبد ربه أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨/٩٣٩).

* العقد الفريد ٨ جـ .

تحقيق محمد سعيد العريان ـ طبعة ثانية ـ القاهرة ١٩٥٣.

٧ ـ ابن العماد أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي (ت ١٠٨٩/١٦٧٩).

* شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٨ جـ .

مكتبة القدس ـ القاهرة ١٣٥٠ ـ ١٣٥١/١٩٣١ ـ ١٩٣٢.

٨ ـ ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦/٨٨٩).

* عيون الأخبار ٤ جـ .

دار الكتب القاهرة ١٣٨٣/١٩٦٣.

٩ ـ ابن كثير	أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت ١٣٧٣/٧٧٤).
* البداية والنهاية ١٠ جـ .
مكتبة المعارف. بيروت ١٩٦٦.

١٠ ـ ابن المرزبان	أبو بكر محمد بن خلف (ت ٩٢١/٣٠٩).
* تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب.
ـ مخطوطة مؤرخة بـ ١٦٣٩/١٠٤٨ وموجودة في خزانة مخطوطات برلين العربية.
ـ مخطوطة مؤرخة بـ ١٢٥٢/٦٤٩ نشرتها مجلة المشرق، مجلد ٧ سنة ١٩٠٩.
ـ كتاب، طبع بمصر ١٣٤١.

١١ ـ ابن المنور	محمد
* أسرار التوحيد في مقامة الشيخ أبي سعيد.

١٢ ابن النديم	أبو الفرج محمد بن اسحاق (ت ٩٩٢/٣٨٣)
* الفهرست.
تحقيق رضا تجدد طبع طهران (بدون تاريخ).

١٣ ـ أبو نواس	الحسن بن هانيء (ت ٨١٤/١٩٨).
* ديوان أبي نواس.
تحقيق أحمد الغزالي. دار الكتاب ـ بيروت ١٩٥٣/١٣٧٢.

١٤ ـ ارطاميدورس	الأفسسي.
*كتاب تعبير الرؤيا.
نقله من اليونانية إلى العربية حنين بن اسحاق (ت ٨٧٣/٢٦٠)
تحقيق توفيق فهد. دمشق ١٩٦٤.

١٥ ـ الأصبهاني الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠/١٠٣٧).

* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ١٠ جـ .

مصر ـ ١٩٣٢ ـ ١٩٣٨ .

١٦ ـ الأصفهاني أبو الفرج علي بن الحسين الأموي (ت ٣٥٦/٩٦٧)

* الأغاني ٢٠ جـ .

دار الثقافة ـ بيروت ١٩٥٦ .

١٧ ـ أمين أحمد.

* ضحى الاسلام ٣ جـ .

طبعة رابعة ـ القاهرة ١٩٤٩ .

١٨ ـ أمين حسين أحمد.

* حول الدعوة إلى تطبيق الشريعة الاسلامية.

دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٨٥ .

١٩ ـ البستاني فؤاد أفرام.

* دائرة المعارف.

٢٠ ـ التميمي أبو العرب محمد بن أحمد (ت ٣٣٣/٩٤٥).

* كتاب المحن.

تحقيق يحيى الجبوري. بيروت ١٤٠٣/١٩٨٣ .

٢١ ـ التنوخي أبو علي المحسن بن علي بن محمد (ت ٣٨٤/٩٩٤)

* نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ٨ جـ .

تحقيق عبود الشالجي. بيروت ١٩٧١ ـ ١٩٧٣ .

* الفرج بعد الشدة ٥ جـ .

تحقيق عبود الشالجي. بيروت ١٩٧٨ .

* المستجاد من فعلات الأجواد.
تحقيق محمد كرد علي. دمشق. ١٣٦٥/١٩٤٦.

٢٢ ـ الثعالبي أبو منصور عبد الملك محمد بن اسماعيل النيسابوري (ت ٤٣٠/١٠٣٨).
* يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ٤ جـ.
تحقيق محمد عبد الحميد ـ القاهرة ١٩٥٦.

٢٣ ـ الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥/٨٦٩).
* الحيوان ٨ جـ.
تحقيق عبد السلام هارون. طبعة ثالثة بيروت ١٣٨٨/١٩٦٩.
* البيان والتبيين ٤ جـ.
تحقيق عبد السلام هارون. طبعة ثالثة. القاهرة.

٢٤ ـ حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧/١٦٥٧).
* كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.
تحقيق محمد شرف بالتقايا ورفعت الطليسي.
اسطنبول ١٩٤١ ـ ١٩٤٣.

٢٥ ـ الجريري عبد الرحمن.
الفقه على المذاهب الأربعة ٢ جـ.
دار الفكر ـ بيروت (بدون تاريخ).

٢٦ ـ الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣/١٠٧١)
* تاريخ بغداد أو مدينة السلام ١٤ جـ.
القاهرة ١٣٤٩/١٩٣١.

٢٧ ـ دروزي رينهارت.
* المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب.
تعريب اكرم فاضل ١٩٧١.

٢٨ ـ الدَّميري أبـــو البقـاء كـمال الـدين محمـد بن مـوسى (ت ١٤٠٥/٨٠٨).
* حياة الحيوان الكبرى ٢ جـ .
طبعة ثالثة. مصر ١٩٥٦/١٣٧٦.

٢٩ ـ الزركلي خير الدين.
* الأعلام ٨ م.
قـاموس تـراجم. دار العلم للمـلايـين. بـيروت ١٩٨٠.

٣٠ ـ سابق السيد.
*فقه السنة ٢ م
دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٦٩/١٣٨٩.

٣١ ـ السراج أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين.
* مصارع العشاق.
دار صادر ـ بيروت.

٣٢ ـ سركيس يوسف اليان.
* معجم المطبوعات العربية والمعربة ٢ جـ .
القاهرة ١٩٢٨.

٣٣ ـ السيوطي الحـافظ جلال الـدين عبد الـرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت ١٥٠٥/٩١١).
* سنن النسائي.
دار الفكر ـ بيروت ١٩٧٨/١٣٩٨.

٣٤ ـ الشافعي الإمـام محمـد بن ادريس بن العبـاس بن عثمان بن شافع (ت ٨٢٠/٢٠٤)

* ديوان الإمام الشافعي.
تحقيق محمود إبراهيم هيبة.
المكتبة العباسية ـ مصر ١٣٢٩/١٩١١.
* ديوان الإمام الشافعي.
تحقيق عفيف الزعبي.
بيروت ـ طبعة ثالثة ١٣٩٢/١٩٧٤.

٣٥ ـ شبارو عصام.
* القضاء والقضاة في الاسلام.
دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٨٣.
* قاضي القضاة في الاسلام.
دار مصباح الفكر ـ بيروت ١٩٨٨.
* أسرار الكلب ـ نظرة الجاهلية والاسلام.
دار مصباح الفكر ـ بيروت ١٩٩٠.

٣٦ ـ الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد (ت ٥٤٨/١١٥٣).
* الملل والنحل ٣ جـ.
تحقيق عبد العزيز الوكيل ـ القاهرة ١٣٨٧/١٩٦٨.

٣٧ ـ الشيبي أبو المحاسن محمد بن علي العبدري (ت ٨٣٧/١٤٣٣).
* تمثال الأمثال ٢ جـ.
تحقيق أسعد ذبيان. بيروت ١٩٨٢.

٣٨ ـ شير ادى.
* الألفاظ الفارسية المعربة.
بيروت (بدون تاريخ).

٣٩ ـ صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي.
* مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع
٣ جـ. القاهرة ١٩٥٤.

٤٠ ـ الصنعاني أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحموي
(ت ٨٢٧/٢١١)
* المصنف ١٠ جـ.
تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي. بيروت
١٣٩٠ ـ ١٣٩٢/١٩٧٠ ـ ١٩٧٢.

٤١ ـ الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٩٢٣/٣١٠).
* تاريخ الرسل والملوك ١١ جـ.
دار سويدان ـ بيروت (بدون تاريخ).

٤٢ ـ القزويني زكريا بن محمد بن محمود (ت ١٢٨٣/٦٨٢).
* عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات.
طبعة ثالثة مصر ١٩٥٦/١٣٧٦.

٤٣ ـ القليوبي أبو العباس أحمد بن سلامة (ت ١٦٥٩/١٠٦٩)
* حكايات وغرايب وعجايب ولطايف ونوادر وفوايد
ونفايس.
صححه وليم ناسوليس والمولوى كبير الدين أحمد.
كلكته. مطبعة ليسي ١٨٥٦.

٤٤ ـ قوشاقجي الأب يوسف.
* الأمثال الشعبية الحلبية وأمثال ماردين ٢ جـ.
حلب ١٩٧٧.

٤٥ ـ كحالة	عمر رضا.
* معجم المؤلفين ١٥ جـ .
تراجم مصنفي الكتب العربية.
دمشق ١٩٥٧ ـ ١٩٦١ .

٤٦ ـ مجهول	* ألف ليلة وليلة ٤ م.
طبعة ثانية ـ بيروت ١٩٨١ .

٤٧ ـ المسعودي	أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦/٩٥٧).
* مروج الذهب ومعادن الجوهر ٤ جـ .
تحقيق محمد عبد الحميد. دار المعرفة ـ بيروت ١٤٠٣/١٩٨٣
* أخبار الزمان.
دار الاندلس ـ بيروت طبعة خامسة ١٩٨٣ .

٤٨ ـ مسلم	الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١/٨٧٥)
* الجامع الصحيح ٨ جـ .
دار الفكر ـ بيروت.

٤٩ ـ المفضل بن سلمة	أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم الكوفي (ت ٢٩٠/٩٠٣)
* كتاب الفاخر.
دار الفرجاني ـ القاهرة طبعة ثانية ١٤٠٢/١٩٨٢ .

٥٠ ـ الميداني أبـو الفضـل أحمـد بن محمـد النيسـابـوري (ت ٥١٨/١١٢٤)
* مجمع الأمثال ٢ جـ .
تحقيق محمـد عبـد الحميـد ـ طبعـة ثـانيـة. مصر ١٣٧٩/١٩٥٩.

٥١ ـ النويري شهـاب الـدين أحمـد بـن عبـد الـوهـاب (ت ٧٣٢/١٣٣١)
* نهاية الارب في فنون الأدب.
تحقيق عـلي محمـد البجـاوي ـ القـاهـرة، ١٣٩٦/١٩٧٦.

٥٢ ـ ياقوت الحموي شهـاب الدين أبـو عبد الله يـاقـوت بن عبـد الله الحموي الرومي (ت ٦٢٦/١٢٢٩).
* معجم البلدان ٦ جـ .
تحقيق فـرديـنـانـد وستنفلد ـ ليبزغ بـروكهـاوس. ١٨٦٦ ـ ١٨٧٣.
* معجم الأدباء ٧ جـ .
ويعـرف أيضـاً بـ «ارشـاد الأريب إلى معـرفـة الأديب». وبـ «طبقات الأدباء».
تحقيق د. س. مـرجليـوث. القـاهـرة ١٩٢٣ ـ ١٩٢٦.
* المشترك وضعـاً والمفترق صعقاً.
طبع وستنفلد ١٨٤٤.

فهرس الأعلام والأماكن

١ ـ الأعلام

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

٢ ـ الأماكن

٣ ـ أسماء الكلب

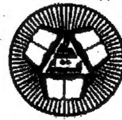
٤ ـ الحيوان

فهرس الكتاب



تفضيل الكلاب
على كثير ممن لبس الثياب

- هو كتاب من تراثنا العربي والاسلامي يسرد فيه مؤلفه ابن المرزبان عشرات القصص والأمثال وأبيات الشعر التي قيلت في الكلب سواء في المدح (الصيد، الحراسة، التعرف على الأماكن المأهولة، كشف المجرمين، لهو الخلفاء والأمراء، الدفاع عن صاحبه، إلفه وحبه ووفاؤه). أو في الهجاء (السب والشتيمة، النجاسة، خبث الرائحة، قبح الهيئة، أكل العظام، النباح والهرير).
- ويبحث هذا الكتاب في نظرة العرب تجاه الكلب وتطورها من الجاهلية الى الاسلام. ففي الجاهلية، كثرت فوائده والمدح والفخر به حتى تسمت به بعض القبائل. وفي الاسلام ذكره القرآن الكريم والحديث الشريف والفقهاء، كما دخل في الخرافات والأحلام والجن والشياطين والجنة؟.
- ويوضح الكتاب أصل الكلب، ورأي العلوم الطبية في الأمراض التي يحملها، ومواقف بعض الشعوب الشرقية القديمة، ثم مواقف بعض المؤلفين المسلمين في الدفاع عن الكلب، أمثال: الجاحظ، القاضي التنوخي، الدميري، القليوبي وغيرهم.


دار التضامن
للطباعة والنشر والتوزيع
ص.ب: ١١٨٤٨٩/١١٣ - بيروت - لبنان